



قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر

أحمد عبدالله زايد\*

الورقة البحثية رقم (٢١)

٢٠١١

\* أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة <a\_a\_zayad@yahoo.com>.

---

الآراء الواردة في هذه الورقة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تعكس أو تمثل بالضرورة وجهة نظر مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار.

أنشئ مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء في ١٥ نوفمبر ١٩٨٥، لتكون مهامه الرئيسية دعم متخذي القرار في قضايا الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. وقد اهتم المركز - منذ نشأته - بتناول القضايا ذات الأولوية، لدفع مسيرة الإصلاح المؤثرة على مسار التنمية، ثم تبلور دور المركز - في الآونة الأخيرة - كأحد مراكز الفكر الرئيسية في مصر.

يطرح مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار سلسلة الأوراق البحثية التي تتناول القضايا ذات الأولوية في مجالات الاقتصاد، والعلوم السياسية، والإحصاء، والاجتماع، وتكنولوجيا المعلومات، بهدف تقديم المشورة والعون لمتخذي القرار وصانعي السياسات. كما يسعى المركز لترسيخ مفاهيم الحيادية والموضوعية، وعدم الحزبية في اختيار الموضوعات المطروحة، وأساليب المعالجة، والنتائج المنبثقة من الأوراق المقدّمة والآليات المقترحة لتفعيل تلك النتائج؛ بما يضيف على الأبحاث المختارة مصداقية لدى مجتمع الباحثين على اختلاف اتجاهاتهم. ويأمل المركز أن تسهم تلك السلسلة في خلق حوار علمي بين الباحثين، والمتخصصين، والأكاديميين، داخل المركز وخارجه، وعلى المستويات المحلية، والإقليمية، والدولية.

## إدارة مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار

م/ هاني محمود  
رئيس المركز

د/ محمد رمضان محمد - نائب رئيس المركز

أ/ أماني فاروق الحفني - رئيس محور رئاسة المركز  
م/ صلاح شحاتة نصار - رئيس محور تكنولوجيا المعلومات  
د/ عمرو العجموي - رئيس محور تنمية الأعمال والعلاقات الخارجية

## إدارة سلسلة الأوراق البحثية – مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار

### المكتب التنفيذي

أ.د/ هناء خير الدين  
العضو المعين لسلسلة الأوراق البحثية  
أستاذ الاقتصاد - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة  
ومستشار مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار للدراسات الاقتصادية  
أ/ أماني فاروق الحفني  
أمين الصندوق ورئيس محور رئاسة مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار  
أ/ رجاء الوكيل  
المدير الإداري والتنفيذي لسلسلة الأوراق البحثية - مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار

### اللجنة التنفيذية للتحضير

أ.د/ باهر محمد عتلم: (رئيساً) وأستاذ الاقتصاد - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة  
أ.د/ حورية توفيق مجاهد: أستاذ العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة  
أ.د/ نادية مكاري جرجس: أستاذ الإحصاء - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة  
أ.د/ أحمد عبد الله زايد: أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب، جامعة القاهرة  
أ.د/ ريم بهجت: عميد كلية الحاسبات والمعلومات، جامعة القاهرة



## المخلص

أولى علماء الاجتماع أهمية قصوى لدراسة الدين في تحليلاتهم لأسس الحياة الاجتماعية، وأسس الفعل الاجتماعي، والممارسة الاجتماعية عبر الحياة. ورغم اختلاف نظرتهم إلى الدين إلا أنهم أجمعوا على أنه أحد حقول الحياة الاجتماعية الهامة، إن لم يكن الحقل الرئيسي في كثير من الأحيان.

تهدف الدراسة إلى التعرف على طبيعة القيم التي يبيثها الخطاب الديني، وما إذا كانت هذه القيم تحمل قيما تنموية. وتم الاستعانة بعينة من خطب المساجد قوامها ٤٦٦ خطبة تنقسم إلى ٢٢٨ خطبة ألقاها كبار الدعاة ونشروها، فأصبحت مرجعا لخطباء المساجد، وأخرى تم تسجيلها من المساجد وعددها ٢٣٨ خطبة. وقد جُمعت هذه الخطب في الفترة من نهاية عام ٢٠٠٧ حتى يونيو ٢٠٠٩.

كشفت القراءة الإحصائية لنتائج الدراسة عن غلبة الطابع الأخروي على الخطاب الديني. وقد جاء ترتيب موضوعات الخطب بحيث تضع الله والآخرة في الصدارة. أما عن قيم التنمية فقد أوضحت الدراسة أن أكثر القيم تكرارا هي القيم الاجتماعية (كحسن المعاملة، والتعاون، والتسامح، والصداقة، والإيثارة...)، وأقلها تكرارا هي قيم العمل، وهناك قيم لم يتم التعامل معها مطلقا، منها قيمة القدوة، وقيمة تفضيل المصلحة العامة. طرحت الدراسة رؤية لتجديد الخطاب الديني تقوم على أربعة مستويات: (١) مستوى محتوى الخطاب الديني والرسائل المتضمنة فيه، (٢) ومستوى الدعاة، (٣) ومستوى المتلقين للخطاب الديني، (٤) ومستوى المؤسسات الرسمية ذات العلاقة بالخطاب الديني.

## ABSTRACT

Sociologists realized the utmost importance of studying religion along with their analysis of the bases of social life, social action and social practice. Despite their different perceptions of religion, sociologists unanimously agreed that it is one of the important fields of social life, if not the major field in many cases.

The objective of this paper is to identify the nature of the values disseminated by the religious discourse, and to assess if it has developmental traits. The study uses a sample of 466 Islamic discourses; 228 sermons delivered and published by leading advocates (Doaa') and henceforth served as a reference for preachers, while the other 238 were recorded at mosques. The sermons were collected from end of 2007 until June 2009.

A statistical read of the study findings reveals the prevalence of eschatological nature on the religious discourse. The order of topics puts God and the afterlife at the forefront. With respect to values of development, the study shows that social values are the most frequent issues; i.e. act of good behavior, cooperation, tolerance, friendship, and altruism...). It is found that the least frequent values are work-related. Other values such as role models and preference of public interest are not addressed at all. The study proposes a vision for a renewed religious discourse based on four levels: (1) the content of religious discourse and the messages contained therein, (2) the preachers, (3) the recipients of the religious speech and (4) the relevant official institutions.



## ١ - المقدمة

يلعب الدين دورا هاما في الحياة الاجتماعية، وهو يعدُّ المصدر الرئيسي للقيم التي توجّه السلوك، كما أن المعتقد الديني يعمل على خلق صلة طبيعية بين الإنسان وبين عالم الدنيا من ناحية، وعالم ما بعد الطبيعة من ناحية أخرى. ومن هنا فإن الدين يمنح الحياة معنى لدى ممارسيه، ويجعلهم على يقين بأن ثمة هدفا ما وراء هذه الحياة، وأن الحياة يجب أن تعاش من أجل هذا الهدف. ولذا فإن الدين لا يعدُّ فقط مصدرا للقيم، بل هو طاقة وجود؛ فمنه يستمد الناس هويتهم، وتبريرهم لوجودهم ولهدف هذا الوجود.

نظر علماء الاجتماع من أصحاب النظرة الوظيفية إلى الدين باعتباره تجسيدا لروح الجماعة، فهو يعبر عن الوجود الجمعي للأفراد والجماعات، كما أن ممارساته الجمعية تخلق تقاربا بين أفراد الجماعة، وتعمل على إيجاد حالة روحية ونفسية مشتركة. ومن ثم فإن الدين هو مصدر التضامن الاجتماعي، وهو المعبر عن هوية الأفراد في المجتمع، وهو يقوِّي من المعايير الاجتماعية التي تحكم سلوك الجماعة وتضبطه، وتحقق لها التماسك والاستقرار. فدراسة الصور الأولية للدين مكنت دوركايم من أن يتعرّف على الدور الذي يلعبه "المقدّس" في بلورة الشكل الاجتماعي الذي تنتظم فيه حياة البشر، وكيف يصير التوحد بين المقدّس والمجتمع، بحيث يعدّ كل منهما ضرورة للآخر (Durkheim, 2008). ولقد تطورت هذه النظرية الوظيفية الدوركامية في أعمال الوظيفيين المحدثين الذين نظروا إلى الدين بوصفه نظاما أو نشاطا فرعيا، يتفاعل مع بقية أنساق المجتمع من أجل تحقيق التكامل الاجتماعي. واهتم الوظيفيون أيضا بالطريقة التي يتغير بها الدين في المجتمع الحديث. ومن ناحية أخرى اهتموا كذلك بعلاقة الفرد بعالم الدين، ومدى الحرية التي يمنحها المجتمع الحديث للأفراد لاختيار معتقداتهم.

فالدين في المجتمع الحديث يختلف اختلافا كبيرا عن الدين في المجتمع القديم، فقد نجح المجتمع الحديث في تفسير الازدواجية بين عالم الحياة وعالم المقدّس، وفهم المقدّس لا على أنه متعال عن الحياة ومنفصل عنها بل محايت لعالم الواقع. ومن ثم أصبحت العقيدة الدينية عقيدة لا ترسخ كثيرا للطقوس بقدر ما ترسخ لعالم الرموز الذي يعطي الحياة معنى، ويمنح الأفراد في المجتمع المعاصر - الذي يضع عليهم ضغوطا - قدرة على أن يتكاملوا مع حياتهم وأعمالهم. ومن ناحية أخرى فقد تحولت الأفعال الدينية إلى أفعال أكثر حرية ومرونة، كما أصبحت المنظمات الدينية أكثر مرونة أيضا. ومن ثم فقد اختفى القهر في العلاقة بين الأفراد والمؤسسات الدينية وأصبحت هذه العلاقة تقوم على الاختيار لا على الإيجابار (Bellah 1970, 20-50).

ومن جانب آخر فقد تناول الوظيفيون تغبّر علاقة الدين بالمجتمع، وتغبّر علاقة الأفراد بالدين. فالدين في المجتمع الحديث ليس هو المؤسسة الوحيدة المحققة للترابط والوحدة في المجتمع، بل أصبح مؤسسة مثل كل المؤسسات، فهو حقل أو مجال من مجالات الحياة. ومن هنا فلم يعدّ الدين يحقق التكامل والترابط، ولم يعدّ قوة جمعية بالمعنى الدوركلامي القديم، وإنما أصبح مجالا للحياة، أو فضاء اجتماعيا وثقافيا، يتواصل ويتفاعل مع المجالات الأخرى (الأسرة والعمل والتعليم والسياسة والاقتصاد... إلخ). ولم يعدّ الدين في المجتمع الحديث فاعلا في قطاعات الحياة، محددًا لمسارها ومصيرها، بل أصبح هو نفسه قطاعا أو مجالا مثله مثل كل مجالات الحياة الأخرى التي تباينت عن بعضها بحكم ظروف التغير في المجتمع الحديث؛ وهو تباين لا يفصلها عن بعضها، فهو

تباين نسبي وظيفي يحافظ على تواصلها بشكل دائم عبر أدوات ووسائل اتصال دائمة. ومن ناحية أخرى فقد تغيرت علاقة الأفراد بالدين، فأصبح الدين ميدانا خاصا لا تحتكره مؤسسات تفرضه على الناس، بل ميدان حر يعتقد فيه الأفراد بإرادتهم وبالطريقة التي تحلو لهم. لقد عمل المجتمع الحديث - إذا - على شخصنة (Personaliztion) الدين وتحويله إلى النطاق الشخصي البحث، ويرتبط ذلك بطبيعة الحال بتقلص الدور السياسي والتكاملي للدين في المجتمع (Luhmann 1984).

ومن ناحية أخرى فقد نظر ماكس فيبر (Weber 2002) إلى الدين كطاقة فعالة في المجتمع الحديث، ولم ير تعارضا بين الدين وبين العقلانية. فالمجتمع الرأسمالي تخلص من الجوانب السحرية والأسطورية واللاعقلانية ولكنه حول الدين إلى طاقة عقلانية. فقد أنصب جُلَّ اهتمام فيبر على التنظير لنمو نزعة الترشيده والعقلانية في الرأسمالية الغربية. فلم تُعد الأساليب التقليدية في التفكير والنظرة إلى العالم قادرة على أن تسير عصر الرأسمالية الذي يعتمد على الآلة والقوة الخارقة للعقل. ومن ثم فإن المجتمعات الحديثة تتأسس على تضبيب يعتمد على الرشد والعقلانية اللذين يجسدهما النظام البيروقراطي خير تجسيد. فالعقلانية والبيروقراطية أداتان فعالتان لازدهار الحياة الاقتصادية، شريطة ألا يتحوّلا إلى "قفص حديدي" لقمع الفرد، وتصفيده في مجتمع بلا معنى وبلا روح. إن الحياة الحديثة يجب أن تتوافق مع معاني نابعة من العقل لا من العاطفة، ومن الرشد لا من التقليد. ومن ثم فإنها تتوافق أكثر مع الأفعال العقلانية ومع نظام للسلطة القانونية، وتنفض أيديها من كل صور الفعل التقليدي والعاطفي وكل صور السلطة التقليدية. هنا يتحول العقل إلى أداة فعالة لقيادة المجتمع شريطة ألا يتحول إلى أداة لقمع الإنسان والبطش به. والجديد في صياغة فيبر أنه أكد أن هذا التحول في المجتمع الرأسمالي لم يكن بعيدا عن الدين. فقد تلازم هذا التغيير مع ظهور العقيدة البروتستانتية، وساهم الدين ذاته في بلورة هذه العقلانية وفي دفع المجتمع على طريق الرشد. وكان فيبر يعتقد أن هذه العقيدة قد ساهمت في دفع هذا النمو في العقلانية والرشد، ومن ثم فإنها لعبت دورا كبيرا في تطور الرأسمالية ونموها. ففي كتابه عن "الأخلاقيات البروتستانتية وروح الرأسمالية" (أكد فيبر على التزام بين ظهور الرأسمالية وظهور نمط خاص من العقيدة البروتستانتية، ألا وهو العقيدة الكالفينية (نسبة إلى كالفن) التي قدمت فهما جديدا للإيمان يقوم على الأمانة والعمل وروح التقشف وعدم الإسراف. واعتقد فيبر أن هذه الأخلاق قد أدت دورا مهما في الاتجاه نحو التنظيم العقلاني للحياة الذي ساهم بدوره في نمو الرأسمالية. ولقد تأكدت هذه الأطروحة لدى فيبر من خلال تحليلاته للديانات الشرقية، والتي اعتقد أنها لا تتواءم مع الاقتصاد الرأسمالي (Weber 1922). ولكن إذا كانت العقلانية وما يصاحبها من نمو بيروقراطي هائل يؤديان إلى إدخال المجتمع في سياق مادي يُفقد الإنسان روحه وحرية، فإن ذلك يكون له تأثيره الكبير على الدين ودوره في الحياة. ويفسر فيبر هذا الموقف من خلال مفهومه الرائع حول نزع السحر (البهجة) من العالم Disenchantment of the World. ففي اعتقاده أن نمو النزعة العقلانية ونمو التفكير يؤديان إلى علمنة العالم، أي تحويله إلى عالم مادي تُنزع منه كل صور البهجة (Weber 1946). ويناقش البعض هذا الرأي بالقول بأن عقلانية العالم وعلمانيته لا ينفيان اختفاء الدين أو اختفاء دوره حتى من وجهة نظر فيبر نفسه. فسوف يساعد الدين الناس على أن يتغلبوا على صور اللامعنى في حياتهم. وهي صور تتزايد مع تزايد العقلانية والترشيده (Walton 2002).

ومن ناحية أخرى فقد اهتمت المدرسة النقدية في علم الاجتماع بالتحويلات التي تركتها منظومة الحداثة على المنظومة الدينية. وقد اتضح هذا بجلاء في تحليلات هابرماس للتحويلات التي طرأت على الدين في المجتمع الحديث. فقد ذهب هابرماس إلى أن العقلانية والتكنولوجيا والنزعة العلمية قد أثرت تأثيرات سلبية على المعتقدات الدينية وعلى الممارسات التقليدية. وقد ارتبطت هذه التحويلات بأفاق جديدة للمعنى قدّمت مفهوم العلم ومفهوم العقل على مفهوم الدين، وأصبح المجتمع يستمد شرعيته من الدور الذي تؤديه فيه الجوانب العقلية التقنية وليس من الجوانب العقيدية الدينية (Habermas 2002). ولم يترتب على هذا الوضع أن أصبح الدين ورموزه وممارساته والمعاني المرتبطة به يشكل مجالا مستقلا في الحياة الاجتماعية فحسب، بل أصبح الدين نفسه مجالا للبحث والنقد من جانب هذه العقلية التقنية. لقد تحللت الثقة في مصداقية وجود مبادئ عامة تنظم الوجود، وأصبح العقل هو المبدأ الذي يتأسس عليه المعنى الثقافي للوجود. ومن ثم فإن العقل التقني قادر على أن يخضع المعتقدات الدينية للمناقشة، وأن يحولها إلى النطاق الفردي. وطالما أن هذا العقل يتأسس على التعددية والرؤى المختلفة، فإن المعتقدات الدينية نفسها يمكن أن تصبح خاضعة لهذه التعددية، فالفرد مخول في أن يعتقد فيما يشاء، وله الحرية في تقدير المعاني الدينية بالطرق التي تحلو له، وتعدّ هذه محاولة من هبرماس لإدخال الدين إلى نطاق الميدان العام الذي هو الفضاء المستقل للحرية والنقاش وتداول الأفكار من أجل الصالح العام.

وكما يذهب بيتر برجر، فمهما يكن من تحول الدين إلى عقيدة شخصية، ومهما يكن من طغيان الجوانب المادية على حياة البشر، فإن الدين يظل بمثابة المظلة المقدسة للمجتمع (Berger 1990). ويمثل الموقف الفينومينولوجي الذي انطلق منه برجر وزملاؤه في فهم الظاهرة الدينية موقفا مختلفا ومتميزا داخل تراث علم الاجتماع؛ فالدين لا ينظر إليه بوصفه مقولة بنائية تحكم الناس من عل، بقدر ما ينظر إليه بوصفه مشاعر ورموزا ومعتقدات بينيها الأفراد والجماعات في عقولهم. فهو عالم من المعاني والرموز الجمعية التي تحوّل الخبرات والموضوعات ذات الطابع القدسي من عالم القداسة إلى ممارسات الحياة اليومية، وهكذا يتحول الدين إلى مظلة مقدسة Sacred Canopy، وهذه المظلة ليست متعالية على البشر تضبطهم من الخارج كما في التحليل الدوركايمي، وليست فعلا كازوميا كما في التحليل الفيبري، بل هي عقيدة مستدمجة في الخبرات الشخصية للأفراد والجماعات، وفي المعاني التي يضعونها على أفعالهم وأفعال الآخرين، وفي الرموز التي تظهر من ممارساتهم الطقسية للدين. وباختصار فإن المظلة المقدسة تتحول من خارج الأفراد إلى داخلهم ويصبح مثلها مثل بقية نظم الحياة والعمل أبنية داخلية، قابلة بشكل دائم لإعادة التفسير، وإعادة التأويل، وإعادة الفهم.

ولقد أدت الحداثة والنزاعات الأيديولوجية المتعددة إلى أن تصاب المظلة المقدسة بالانشطّ، فكلما تأسست البيروقراطية والتكنولوجيا والنزاعات العقلية الحاكمة لاختيارات السلوك قلّ تماسس المعاني الدينية. لقد أدت الحداثة إلى تعدد المعاني والرؤى وإحلال التفسيرات الدنيوية محل التفسيرات الدينية، وخلقت بذلك حالة من اللامعنى، تتسم بالقلق والاعتراب، وتلك هي الحالة التي وصفها برجر بحالة العقل الضال The Homeless Mind (Berger, Berger and Kellner 1974). ولقد راجع بيتر برجر هذا الموقف بالقول بأن هذا التأثير الإضافي الذي لعبته العلمانية والحداثة في نشطّ المعاني الدينية لا يمنع من استمرار المعاني الدينية في حياة

الناس. فقد أوضح في كتابه بعنوان "نزع العلمانية من العالم" والمنشور عام ١٩٩٩ أن البشر ما يزالون يحتاجون الدين وهم يرجعون إليه ولكن بأساليب جديدة. فالحدائث والتعددية لم تؤثر على جوهر الدين، ولكنها أثرت على الطريقة التي يفهم بها الناس الدين، إنها أثرت على كيف How وليس على ماذا (Berger 1999) What.

ثمة نتيجة يمكن أن تستخلص من هذا الدرس الفكري مفادها أن علاقة البشر بالدين هي علاقة أبدية لا مراء فيها، وأن عالم المُقدَّس يؤدي دورا حيويا في تشكيل سلوك البشر. ومهما تكاثف الصراع بين عالم المُقدَّس وعالم المادة (العالم المُدُنَّس)، فإن ثمة توقا مستمرا نحو استعادة المُقدَّس، ونحو البحث عن خلاص عبره، حتى ولو بطريقة عقلية رشيدة. وينتج عن ذات الدرس سؤال هام، إذا كان الدين يؤدي دورا في حياة الناس، وإذا كان الدين نفسه يتعرض إلى التشظي وإعادة التفسير وإعادة التأويل، ألا يمكن أن يكون الدين نفسه مصدرا لتحقيق الامتثال والوفاء بدلا من الفرقة والانقسام؟

الحق أن ظروف العالم المعاصر توحى بأن هذا السؤال هو أهم الأسئلة جميعا فيما يتصل بعلاقة الدين بالمجتمع. فإذا ما تفرقت بالناس السبل والتأويلات المختلفة، فإنهم سائرون إلى فرقة وانقسام لا محالة؛ خاصة إذا ما تحول الدين إلى ملاذ سياسي. فالانقسام مقبول ومشروع إذا كان التدين أمرا شخصيا بحتا، ولكنه يتحول إلى جحيم إذا ما اختلط الدين بالسياسة، وتحولت التأويلات الدينية إلى إيديولوجية اختزالية تجرف كل ما هو أمامها لتلقيه في البحر. ويتفاقم هذا الأمر إذا ما كانت هذه الإيديولوجية إيديولوجية ماضوية تحول التأمّل المستقبلي في قضايا النهضة والتقدم والتنمية إلى تأمل ماضوي في أمجاد الماضي وأسبقية الأجداد إلى الأمام. هنا يظهر السؤال الهام كيف يتحول التدين إلى طاقة عقلانية تدفع إلى التنمية. فالدين يُعدُّ أحد المصادر الأساسية التي يمكن أن تشتق منها قيما للتنمية والتقدم. بل إن مراجعة النصوص الدينية ومضاهاتها على ظروف العصر تدفع إلى مراجعة مفاهيم قديمة كمفاهيم "العلماني" و"المُقدَّس"، ومفاهيم الدور التقليدي السلبي للدين. فإذا كان الدين يتحول بالتدرج إلى الدخول إلى الميدان العام، فإن هذا التحول يصاحبه تحول جذري في الأفكار المتصلة بدور الدين في التنمية (Abdin 2007, 2)، وكيف تتجه التأويلات والتفسيرات الدينية إلى دفع الناس إلى بناء الحضارة والتقدم؟ هذا السؤال هو الدافع وراء هذه الدراسة. ويثير هذا الأمر قضية تجديد الدين – أو تجديد الخطاب الديني – في ضوء الظروف المتغيرة للعصر، خاصة إذا كان الخطاب جامدا لا يساير هذه المتغيرات ولا يتجدد بتجدها.

وفي ضوء هذا الإطار نقدّم فيما يلي المشكلة البحثية، والمنهج، ثم نُعرِّج بعد ذلك على عرض النتائج التي تم التوصل إليها من بحثنا الإمبريقي على مستوى موضوعات الخطاب، والقيم التي كشف عنها، بوضع معالم سياسية لتطوير الخطاب الديني.

## ٢- المشكلة البحثية

يدلنا الدرس النظري السابق على أن ثمة مُسلمات تؤكد دراسة العلاقة بين الدين والمجتمع، ومن أهم هذه المُسلمات التأكيد على الدور الذي يلعبه الدين في استمرار المجتمع وتماسكه، وتحقيق التكامل الشخصي

والاجتماعي للأفراد، وحفز المجتمع نحو التقدم والرفي خاصة في ضوء توفر ظروف معينة كوجود مفهوم للإيمان يتطابق مع متطلبات التقدم؛ أي أن الدين يمكن أن يكون أداة للتنمية، وحافزا كبيرا على تقدم المجتمعات. ورغم أن بعض منظري التنمية قد نظروا إلى الدين بوصفه إحدى العقبات التي تقف في سبيل التنمية، واتهموا البناء التقليدي للمجتمع بما يشتمل عليه المعتقدات الدينية بالجمود وعدم القدرة على مواكبة متطلبات التحديث والتنمية (Almond and Vepra 1963)، نقول رغم ذلك أن الأبنية التقليدية وما تشمل عليه من معتقدات دينية قد أكدت - في بعض حالات التنمية الناجحة كما هو الحال في اليابان والصين وماليزيا على سبيل المثال - إمكانية استمرارها وتطورها ومواكبتها لظروف العصر. كما أن التجربة الماليزية استطاعت أن تشتق من الدين قيما دافعة للتنمية، وكشفت التجربة عن عدم تعارض بين الدين والحداثة. لقد كشفت هذه التجربة عن أن القيم المشتقة من الدين (الدين الإسلامي هنا) تدل على أنه دين لا يتعارض مع متطلبات التقدم والحداثة، وأنه يمكن أن يكون طاقة تنموية (Deneulin and Bano 2009). ورغم نجاح مثل هذه التجارب جنبا إلى جنب مع نجاح التحديث في المجتمعات الغربية في احتفاظها بروحها الدينية، فلا أظن أن قضية العلاقة بين الدين والحداثة قد حسمت حسمًا، فقد ظل الجدل حول الموضوع قائمًا. وربما تكون هناك تطورات أدت إلى تزايد حدة النقاش حول الموضوع.

من ناحية أخرى نجد - وكما رأينا من التحليل النظري - أن المناقشة النظرية للعلاقة بين الدين والحداثة لم تنته إلى قول فصل. بل بدأ المفكرون يعيدون التفكير في هذه العلاقة على نحو جديد، كالقول مثلا بحضور الدين في ميدان النقاش العام، وعدم تراجعه إلى الميدان الشخصي، والقول بأن الحداثة والتعددية لم تلغ الدور الذي يقوم به الدين في حياة الناس، ولكنها غيرت من الطريقة التي يتدين بها الناس، الأمر الذي يساهم بشكل أكبر في تشطّي الخبرة الدينية. ومن ناحية أخرى فإن ثمة مؤشرات على عودة الدين بقوة إلى ميدان الحياة السياسية والاجتماعية. فالعالم المعاصر - الذي يشهد حالة من التقلب وعدم اليقين وعدم القدرة على التنبؤ بالمستقبل - يشهد أزمة أخلاقية، تتجلى في ضرب من "القلق الأخلاقي" الذي تكثر في ظلالة الخطابات حول ضرورة العودة إلى الدين، وحول فساد الأخلاق وتدهور منظومات القيم. ويشير هذا الموقف تساؤلات حول طبيعة التدين الملائم لهذا الطرف، وحول الطريقة التي يقدم بها الدين في المجال العام، وحول الطريقة التي يستخدم بها الدين لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية.

وعلى المستوى الواقعي فقد كانت أحد هذه التطورات المهمة هو نمو الجماعات الأصولية وتكاثرها، خاصة في المجتمعات الإسلامية. وأغلب الظن أن ظهور هذه الجماعات لا يتجزأ عن الجدل مع مشروع الحداثة الغربي. فظهور مثل هذه الجماعات لم يكن مقاوما للحداثة فحسب، بل تطاول عليها في محاولة استملاكها بزعم أن الحداثة الحقيقية يجب أن تقاس على الدين، وأن ثمة سبقا إلى الأفكار الحداثية في التراث الفلسفي والفكري الديني. ورغم أن هذه التطورات حدثت في سياقات خاصة، إلا أن لها علاقة وثيقة بمنظومة الحداثة كمشروع رأسمالي. فلم يكن لهذه التصورات أن تحدث في الأصل لولا الضغوط الاستغلالية الصارمة للمنظومة الرأسمالية، لولا القرارات السياسية والدعم ومصادر التمويل التي شجعت نمو هذه الحركات المتطرفة تحقيقا لأهداف سياسية (نتذكر في هذا السياق تاريخ السياسة الأمريكية في التعامل مع قضية أفغانستان).

وثمة تطور آخر ظهر كرد فعل لذلك، فقد أدت المغالاة في الأصولية وارتباطها بالعنف والإرهاب في بعض الأحيان إلى اتخاذ موقف مضاد من الفكر الأصولي (خاصة الإسلامي)، ووصمه بأنه فكر متعصب يريد أن يعود بالمجتمعات إلى الوراء، وأن يجعل المجتمعات الحديثة تتخلى عن منجزاتها الحديثة. وقد تفاقم هذا الموقف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، تلك الأحداث التي أعادت تشكيل الترتيبات السياسية في العالم بعد غزو أفغانستان والعراق، وأعدت تشكيل الهوية السياسية والاجتماعية على نحو جديد، بحيث بدأت صور التقارب والتكامل الذي بثته الثقافة المدنية الحديثة في بناء المجتمعات تتحول إلى صور من التباعد، فبدأت التحيزات الإثنية والعرقية تطل برأسها بقوة، وبدأت الشعوب في تشكيل أيديولوجيات وخطابات مناوئة ومعادية بعضها للبعض الآخر، تتأسس في معظمها على الدين. وقد أشير في هذا السياق إلى ظهور مفاهيم جديدة كمفهوم الخوف من الإسلام Islamophobia الذي تحول في السنوات القليلة الماضية إلى مفهوم للدرس والتنظير والنقاش (Gottschalk and Greenberg 2007; أسماء فريد الرجال ٢٠٠٨).

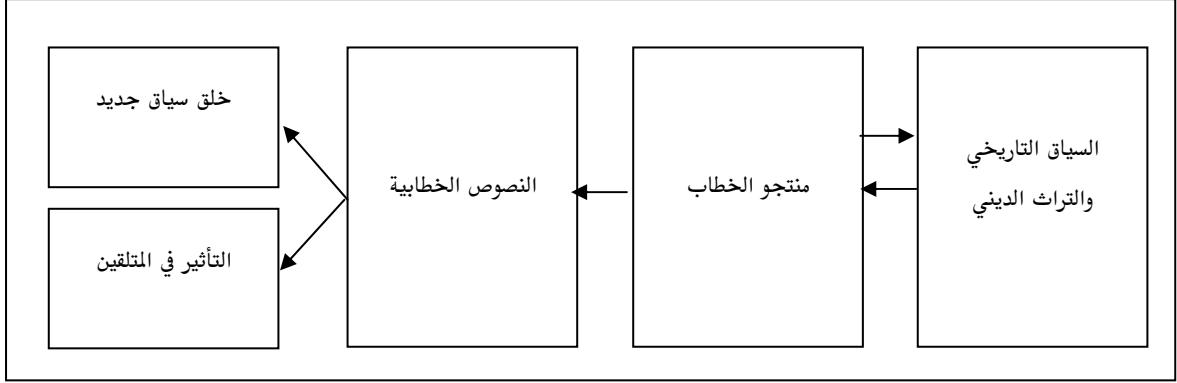
لم تؤد هذه التطورات إلى تحول الدين إلى موضوع للنقاش السياسي والاجتماعي فحسب، بل أدت إلى تأمل قضية الخطاب الديني على مستويات مختلفة. فبدأت قضية تأمل الخطاب الديني وتجديده تطل برأسها في الخطاب السياسي لقادة الدول الكبرى وقادة الدول الإسلامية، وانطلق بعض رجال الدين ينادون بذلك صراحة؛ كما هو الحال عند الشيخ يوسف القرضاوي (١٩٩٩)، وغدت قضية تجديد الخطاب الديني موضوعا للكاتب (أحمد عرفات القاضي ٢٠٠٨)، وللمؤتمرات (نادية مصطفى وإبراهيم البيومي ٢٠٠٦)، والبحوث العلمية (أحمد زايد ٢٠٠٧).

وكان من المنطقي أن يطرح هذا النقاش قضية هامة مفادها: كيف يمكن أن نستخلص من الخطاب الديني قيما دافعة للتنمية؟ وطبيعي أن تكون الخطوة الأسبق هي البحث في طبيعة القيم التي يبثها الخطاب الديني بالفعل، وما إذا كانت هذه القيم تحمل قيما تنموية أم لا، وتلك هي الإشكالية الرئيسية في هذا البحث. فنحن نتجه هنا إلى البحث في طبيعة القيم التي يبثها الخطاب الديني واكتشاف قيم التنمية فيها. وتثير هذه الإشكالية عددا من الأسئلة مثل: هل يوجد في الخطاب الديني موضوعات وقضايا تحث البشر على التنمية والنهوض والتقدم والسعي نحو تغيير الحياة؟ أم أنه خطاب أخروي يصب جُلَّ اهتمامه على ما بعد الحياة الدنيا، ولا ينشغل بقضايا النهضة والتنمية؟ وبالتالي ما حجم اهتمام الخطاب بمنظومة القيم التي يقال عنها إنها قيم للتنمية والتقدم؟ وإذا ما كان في الخطاب ثمة اهتمام بالهضة، فما طبيعة النهضة التي يستجليها هذا الخطاب؟ وهل ثمة رسالة أو رسائل واضحة يبثها الخطاب الديني في هذا الاتجاه؟ وهل ثمة توجه عام في هذا الخطاب؟ أم أنه خطاب مرسل لسد متطلبات مهنية؟

إن النظر العلمي في إجابة هذه الأسئلة لا يفصل عن النظر في السياق الذي يتشكل فيه الخطاب الديني؛ فهذا السياق هو المنتج للخطاب في المحل الأول، كما أن الخطاب معني بتوجيه هذا السياق نحو أهداف محددة. ومن ثم فإن فهمنا لمشكلة هذا البحث يربط بين المتغيرات التي يشتمل عليها الخطاب وبين متغيرات السياق الاجتماعي الذي يتفاعل داخله كمنتج خطابي وكموجه خطابي. كما أن الإجابة عن هذه الأسئلة تفتح آفاقا نحو فهم

أعمق للخطاب الديني الإسلامي، ونحو فهم الدور الذي يلعبه الدين في حياة الناس، كما أنها تكتشف طبيعة التوجه العام للخطاب، والتعرف على الإطار الفكري الذي يغلب عليه، ومن ثم فإنها تفتح آفاقا أعمق نحو تطوير هذا الخطاب وتجديده. وفي ضوء ذلك بمقدورنا أن نقدم صياغة تصورية لمشكلة البحث على النحو التالي:

#### شكل رقم (١): صياغة تصورية لمشكلة البحث



المصدر: المؤلف.

نفترض في هذه الصياغة التصورية أن الخطاب الديني لا ينفصل عن السياق الذي يظهر فيه. وليس معنى ذلك أن السياق ينتج الخطاب على نحو آلي ميكانيكي، فقد أكد باحثون كثيرون من قبل على استقلالية النصوص بوصفها منتجا ثقافيا له قوانين إنتاجه الخاصة. فرغم الوشائج التي تربط بين النص وسياقه إلا أنه ليس مرآة ناصعة لهذا السياق، بل إنه قادر على أن يستقل عنه، وأن يعيد إنتاج استقلاليته على نحو دائم، ولكن مع التسليم بوجود قدر من الاستقلالية للنصوص وللخطاب، إلا أن أي خطاب هو في النهاية نص مفتوح على السياق، والنصوص التي تولدها خطابات أخرى، وعلى الخبرة الشخصية، والتاريخ الشخصي لمنتجه. فهذه العوامل المرتبطة بالسياق وبمنتجي الخطاب تعتبر متغيرات مستقلة ووسيلة تؤثر تأثيرا كبيرا في إنتاج الخطاب على نحو معين. فما النصوص التي نكتبها أو نقولها أو حتى نسلكها (على اعتبار أن السلوك هو نص بمعنى معين) إلا تراكمات لما سبقها من نصوص يعاد إنتاجها في صور جديدة، وأساليب جديدة، وسياقات جديدة، فتتراكم بعضها فوق بعض، حروف من نور، تضيء الطريق، وتفتح آفاقا نحو فهم أفضل للوجود، أو حروف تطمس الواقع وتعمي البصيرة من أجل مزيد من الضبط والسيطرة. وقد أكد أصحاب نظرية التناص هذه الفرضية عندما ذهبوا إلى أن كل الأنظمة ذات الدلالة، ومنها النصوص المكتوبة والمقالة هي أنظمة تتشكل عبر علاقتها بالأنظمة ذات الدلالة السابقة عليها، ومن ثم فإن النص ليس منتجا خالصا لصاحبه وإنما هو يتشكل عبر علاقته بنصوص أخرى بل وبالأنظمة اللغوية القائمة، فالنص هو في النهاية قطعة فسيفساء من نصوص أخرى، فالنص ليس كيانا مغلقا ومكتفيا بذاته بل هو علاقة بسياق ونصوص أخرى وهو خلاصة وتحوير في نصوص سابقة عليه ومحيطه به (Alexander 1990).

ويتأسس افتراضنا على هذا الموقف النظري، فالخطاب يفتح على السياق انفتاحا دائما. ولا يقتصر هذا الانفتاح على فهم السياق من نصوص تتيح للخطاب فرصة التناص المستمر، بل إنه يشتمل على تناقضات السياق والقضايا التي تُطرح داخله. وفي ضوء ذلك فإن الخطاب الديني الإسلامي ينتج داخل سياق ما، يفتح على

النصوص الدينية سواء كانت نصوصاً مقدسة (القرآن والسنة) أم نصوصاً تفسيرية للنصوص المقدسة، أو حتى صوراً أخرى ونماذج للخطاب الديني المتداول عبر الكتب وعبر وسائل الاتصال الحديثة.

كما نفترض أن الخطاب لا ينفصل عن الشخص الذي ينتج هذا الخطاب، فيفتح الخطاب على الذات التي أنتجته بما تحمله تلك الذات – المنتجة للخطاب – من خبرات خاصة تختلف في حجم تجربتها الدينية، والطريقة التي تُعلِّمت بها، والمؤثرات التي أثرت على العملية التعليمية، والظروف الاجتماعية التي تعيشها، والمشكلات التي تنخرط فيها أو التي يُقرأ عنها، والأسلوب الذي تفضله في إلقاء الخطاب، وبالتالي تنعكس على الخطاب الذي تنتجه هذه الذات وتناقضاتها، كما تنعكس عليه تاريخ الذات وخبراتها التعليمية، وقدراتها المهنية، ورؤيتها للعالم. إن هذه الذات هي في الأصل مُرَكَّب اجتماعي، لها علاقاتها وارتباطاتها وتاريخها ومصالحها وطموحاتها، وأحياناً أهدافها السياسية، ولا يفترض أن ينفصل الخطاب الذي تنتجه هذه الذات عن هذا المُرَكَّب الاجتماعي.

ويترتب على ذلك الافتراض الثالث الذي مفاده أن موضوعات الخطاب والقيم التي يحملها ليست بالضرورة موضوعات مقصودة، حقيقة أن الخطاب خطاب قصدي، موجه للإصلاح والتهديب والاستقامة، ولكن انفتاحه على السياق من ناحية، وعلى الخبرة الذاتية من ناحية أخرى، يؤثر على مسار الخطاب وطبيعة الموضوعات التي تُطرح، بل والطريقة التي تُطرح بها، حيث يتحول الخطاب إلى إنتاج ذاتي ومهني، ومن ثم فإنه لا يحمل وجهة نظر المجتمع بأسره بقدر ما يحمل وجهة نظر منتج، أو السلطة الأعلى التي توجّهه.

يتوقع بناء على هذا الطرف أن تأتي موضوعات الخطاب متناثرة لا يربط بينها رابط، ولا يحملها هدف واحد. وبهذا تصبح علاقة الخطاب بقضية النهضة أو قضية التنمية علاقة صدفية، وليست علاقة قصد. صحيح أن الخطاب يقصد إلى هداية الناس إلى الطريق القويم، ملتزماً بطقس الوعظ والدعوة، ولكن الهداية لا تتطلب بالضرورة قصدية نحو النهضة والتنمية. ومن هنا يتوقع أن تأتي القضايا والقيم المتصلة بالتنمية والنهضة متناثرة وضعيفة، في مقابل قضايا الدين والعبادات واليوم الآخر.

والخطاب ليس منقطع الصلة بالجمهور الذي يتلقى الخطاب؛ فهو يتفاعل معه، ويتلمس خصائصه ولغته وعاداته وتقاليده. ومرة أخرى هنا يفقد الخطاب استقلاليته؛ فانفتاحه على المتلقين لا يجعله قادراً على خلق قطيعة مع ثقافة المتلقين وتوجهاتهم ورؤيتهم للعالم، فهو يتفاعل مع كل هذا ناقداً في معظم الأحوال ومدعماً في أقلها. فقد يصبح الخطاب في هذه الحالة جزءاً من ثقافة شائعة، ويتحول إلى طقس كلامي أكثر من كونه أداة للتغيير.

### ٣- المنهج

لأحاول هذه الدراسة أن تتناول كل الأبعاد التي طرحناها في صياغتنا للمشكلة، فهي لا تهدف إلى دراسة مُنتج الخطاب أو متلقي الخطاب، ولكنها تركز على اهتمامها على المُنتج نفسه الذي هو النصوص الخطابية التي ينتجها دعاة المساجد. ومن هنا فقد اتجهنا نحو دراسة مجموعة من خطب المساجد التي تعتمد على الاتصال المباشر بالمتلقي كعينة ممثلة لخطاب الدين الإسلامي. اشتملت عينة الخطب التي تم تحليلها على ٤٧٠ خطبة تنقسم إلى نوعين من الخطب:

**الأول:** خطب منشورة في كتب، وهي خطب ألقاها كبار الدعاة ونشروها في كتب أصبحت مرجعا مهما لكل خطباء المساجد، ينتقون منها أفكارهم الخطابية، بل إنهم قد يحفظون بعض فقراتها استظهارا. وقد بلغ عدد هذه الخطب ٢٢٨ خطبة هي بمثابة حصر شامل للخطب الواردة في الكتب التالية:

- محمد حسان. ٢٠٠٥. الخطب المنبرية (المجلد الأول ١-٣)، المنصورة: دار ابن رجب.
- محمد حسان. ٢٠٠٥. الخطب المنبرية (المجلد الثاني ٤-٦)، المنصورة: دار ابن رجب.
- محمد حسان. ٢٠٠٥. الخطب المنبرية (المجلد الثالث ٧-٩)، المنصورة: دار ابن رجب.
- محمد حسان. ٢٠٠٥. الخطب المنبرية (المجلد الرابع ١٠-١٢)، المنصورة: دار ابن رجب.
- محمد حلمي محمد خضر. ٢٠٠٤. الرياض الندية في الخطب المنبرية، القاهرة: مكتبة دار التراث.

**الثاني:** خطب تم تسجيلها بنصها من المساجد، بلغ عددها ٢٤٢ خطبة، وقد جُمعت عبر فترة امتدت إلى أكثر من عام في الفترة من نهاية ٢٠٠٧ حتى يونيو ٢٠٠٩، وغطت مناطق القاهرة الكبرى، والإسكندرية، وبنى سويف، والفيوم، والمنيا، وسوهاج، ويمكن اعتبار هذه العينة عينة عمدية. ومن ثم فليس بالإمكان التعميم إلا في حدود هذه العينة التي لم تقتصر على أن تمثل المحافظات المختلفة، وإنما تم جمع الخطب في ضوء اعتبارات الإتاحة وسهولة التسجيل. وتخضع هذه العينة من النصوص الخطابية لمستويين من التحليل: **المستوى الأول** يعتمد على تحليل المضمون عن طريق إحصاء موضوعات الخطاب الأساسية أو الفرعية، واستخلاص مضمون القيم والتوجهات الفكرية المتضمنة في النصوص. **والمستوى الثاني** يعتمد على التحليل المعياري للخطاب حيث استخلصت مجموعة من القيم التي يمكن اعتبارها قيما للتنمية، من خلال دراسة استطلاعية لآراء عدد من الخبراء قوامها ٥٠ مفردة. وقد تم أخذ أعلى تكرارات في استجابات الباحثين، وتكوين مصفوفة منها لقيم التنمية، تم استكمالها من خلال قراءات في نظرية التنمية والتحديث (ديفيد ماكيلاند ١٩٨٠؛ السيد الحسيني ١٩٨٥).

لقد أكدت بعض هذه الدراسات على أن القيم هي ركن أصيل من أركان التنمية، بل إنها اتخذت من هذه القيم مؤشرات للتنمية، فقد أكد ديفيد ماكيلاند (١٩٨٠) على أهمية الإنجاز في تكوين مجتمع قادر على التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، كما درج الباحثون في التنمية على تحديد مؤشرات يمكن من خلالها قياس التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، ولقد اتخذ هؤلاء من النموذج النظري لتالكوت بارسونز إطارا للمقارنة بين قيم التقدم (الإنجاز، والتخصص، والعمومية، والحيادية، وتفضيل المصلحة العامة) في مقابل قيم التخلف (العزوة، والانتشار، والخصوصية، والوجدانية، وتفضيل المصلحة الخاصة) (السيد الحسيني ١٩٨٥). وتتغير منظومة القيم في علاقتها بالتنمية من حقبة إلى أخرى، فقد أكد انجلهارت من خلال نتائج البحث العالمي للقيم على ظهور قيم جديدة أطلق عليها قيم ما بعد الحداثة والتي تؤكد على القيم الفردية والديموقراطية وحقوق الأقليات والنساء (Inglehart 1997).

ورغم التحفظات النظرية على هذا المدخل إلا أنه يساعدنا على بلورة تعريف إجرائي لقيم التنمية على أنها "التوجهات الاجتماعية والسياسية والشخصية والعملية التي تدفع المجتمع إلى مزيد من الارتقاء والنهضة، كما

تعتبر عنها مصفوفة القيم المستخدمة في هذه الدراسة“.

جدول رقم (١): مصفوفة قيم التنمية

مصفوفة قيم العمل	مصفوفة القيم السياسية	مصفوفة القيم الاجتماعية	مصفوفة القيم الشخصية
احترام العمل	العدل	الاحترام وحسن التعامل	حسن الخلق (الدين والخلق)
الإنجاز	الحرية	التكامل والتعاون	الأمانة
إتقان العمل	المساواة	التقدير	الشجاعة
الإخلاص في العمل	الشفافية والمحاسبية	التسامح	الاعتماد على الذات
الاستقلال والتخصص	الإصلاح	الوفاء بالعهد	الإرادة
المثابرة في الأداء	المسؤولية الاجتماعية	الصدقة	النظافة
التنافسية	المشاركة	الإيثار	احترام الوقت
استثمار الطاقة	الانتماء	القوة	احترام القانون
الكفاءة في العمل	المواطنة	تفضيل المصلحة العامة	السعادة
الانفتاح والتجدد	الحفاظ على المال العام	السلام	الاقتصاد في الإنفاق
الجدارة والاستحقاق		الأمن	الإيجابية
العلم		الحب والإخاء	التفاؤل والأمل
النجاح وتحديد الأهداف		التراحم	الصدق
الإبداع			التواضع
			محاسبة النفس
			القناعة
			الاعتدال

#### ٤- موضوعات الخطاب الديني

يحقق الدين للبشر مكاسب في الدنيا والآخرة؛ فهو يساعدهم في الدنيا على بناء حياة مستقرة ناهضة، كما يمنحهم في الآخرة ثوابا على عملهم في الدنيا. ويؤكد الإسلام هذه المعادلة بين الحياة الدنيا والآخرة، فالإنسان يجب أن يعمل لدنياه كأنه يعيش فيها أبداً، وأن يعمل لآخريته كأنه يموت غداً<sup>١</sup>. كما أنه نصح الإنسان بأن يعمل حتى آخر لحظة في

١- إشارة إلى الحديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». (أخرجه البيهقي).

حياته، إلى درجة أنه لا يترك فسيلة في يده دون أن يزرعها إذا قامت الساعة.<sup>٢</sup> فقد حرص التشريع الإسلامي على إعمار الأرض واستثمار خيراتها بما ينفع الناس، فالإنسان خليفة الله في الأرض، والكون مُسَخَّر للإنسان جعل الله له فيه «معايش» عليه أن يشكر الله عليها.<sup>٣</sup> ويرتبط ذلك بجوهر خلق الله لعباده، حقا إن الله خلق البشر لكي يعبدوه،<sup>٤</sup> ولكنه خلقهم أيضا لكي يُعمرُوا الأرض،<sup>٥</sup> ولا يتحقق ذلك إلا بعمل دائم دائم، ومجتمع يقوم على المودة والتراحم وإصلاح ذات البين،<sup>٦</sup> والتباين في العقائد.<sup>٧</sup> كما عبّر فقهاء الإسلام عن هذه العقيدة خير تعبير عندما أكدوا على أن الشرع الإسلامي له مقاصد يجب أن يحققها، وهي حفظ الدين والمال والنفس والعرض... الخ.<sup>٨</sup> كذلك أرسوا مبادئ هامة للتعاملات الإسلامية تؤكد على إعلاء المصلحة العامة وعدم الإضرار بالآخرين، وتقديم ما هو عام على ما هو خاص.<sup>٩</sup>

وفي سياق متصل، قدّم كثير من الفقهاء المعاصرين تفسيرات واجتهادات تتابع ما أكده السلف الصالح، وتتفاعل مع قضايا العصر. ومن هؤلاء الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ محمد سيد طنطاوي. وفي دعوتهم جميعا نكتشف إسلاما وسطيا يدعو إلى موازنة الدنيا بالآخرة، وإلى عدم التفريط أو الإفراط، وإلى التفاعل بإيجابية مع متغيرات العصر. وقد انعكس ذلك في دعوة صريحة إلى «صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا» (يوسف القرضاوي ٢٠٠١)، وإلى إعمال العقل والتفكير والانشغال بالعلم، على اعتبار أن كلا من التفكير العقلي والعلم فريضة إسلامية.

والتساؤل الذي يُطرح بناء على ذلك: هل ينعكس هذا التوجه في الخطاب الديني؟ وهل يؤسس الخطاب الديني لقيم بناء الحياة الدنيا مثلما يؤسس لقيم الآخرة؟ تدعونا الإجابة عن هذين السؤالين إلى فحص موضوعات الخطب المنبرية على محك الدين والدنيا، وأن نتعرف على الموضوعات الفرعية التي تطرحها تلك الخطب عندما تتناول موضوع الحياة الدنيا. وإذا كان التحليل يتجه إلى النصوص مباشرة، فإن هدفه النهائي أبعد من ذلك؛ أن يكتشف إلى أي مدى يُشاكل النص الواقع؟ هل يهرب منه أم يتفاعل معه على نحو أو آخر؟ وهل هو في النهاية نص مفارق، أم نص محايد، هل ثمة محاولة لتغيير السياق، أم محاولة لفرض سلطة على السياق؟ كل هذه وغيرها أسئلة تُلازم دراستنا لاتصال موضوعات الخطب الديني بعالم الحياة الدنيا أم بعالم الآخرة.

#### ٤-١ التوجه الأخرى للخطاب

كان خيط البداية في تحليل عينة الخطب المنبرية هو البحث فيما إذا كانت الرسالة المتضمنة في الخطبة توجه

٢- إشارة إلى الحديث: «إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيله فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد).  
 ٣- إشارة إلى الآيات: «وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» (الأعراف، ١٠)، «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الجاثية، ١٣).  
 ٤- إشارة إلى الآية: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات، ٥٦).  
 ٥- إشارة إلى الآية: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» (هود، ٦١).  
 ٦- إشارة إلى الآية: «وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» (الأنفال، ١).  
 ٧- إشارة إلى الآية: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» (الكافرون، ٦).  
 ٨- أنظر حول مقاصد الشريعة، بين النصوص الكلية والنصوص الجزئية ليوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦.  
 ٩- أنظر حول القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة لمحمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦.

جماهير المصلين نحو الحياة الدنيا أم نحو الآخرة. وقد وضعنا تعريفاً محدداً لما هو ديني ولما هو دنيوي اعتماداً على قراءة أولية للخطب. فالخطب الدينية هي الخطب التي تتجه الرسالة فيها نحو تأكيد أمور دينية مثل العلاقة بالله، والنبى وصفاته، والحديث عن الإسلام ومثله العليا، أو الحديث عن رحلة الآخرة أو عن فتاوى بعينها، أو عن القرآن أو تفسيره وإعجازه، أو العبادات والفروض بأنواعها، أو الأحداث التاريخية ذات الصبغة الدينية. أما الخطب التي تتجه الرسالة فيها نحو الأمور الدنيوية فتناقش أموراً سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية، أو العلاقة مع الآخرين، أو نقد سلوكيات، أو تأكيد قيم ومثل عليا وآداب سلوكية، أو الحديث عن المستقبل.

كشفت القراءة الإحصائية عن أن الطابع الأخرى يغلب على الخطاب. فقد بلغت عدد الخطب ذات التوجه الديني ٣٦٢ خطبة بنسبة ٧٧٪، في حين بلغت عدد الخطب ذات التوجه الدنيوي ١٠٨ خطب بنسبة ٢٣٪. وجاءت الموضوعات التي تناقشها الخطب الدينية متجهة في معظمها نحو الحياة الآخرة على النحو التالي:

جدول رقم (٢): موضوعات الخطب ذات التوجه الديني الأخرى

الموضوعات	التكرار	%
العلاقة مع الله	٧٦	٢١,٢
الدار الآخرة	٦٦	١٨,٤
العبادات بأنواعها	٦٥	١٨,١
الأحكام والفتاوى والتحذيرات	٤٣	١١,١
الإسلام وصفات المسلمين	٣٩	١٠,٩
القرآن	٣٠	٨,٤
النبى وصفاته	٢٢	٦,١
الأحداث التاريخية	٢١	٥,٨
الإجمالي	٣٦٢	١٠٠

ولهذا الترتيب دلالات يمكن تأويلها، وهو يعكس رؤية للعالم تضع الله والآخرة في الصدارة، ثم من بعدهما العبادات والالتزام بالأحكام وهما اللذان يوصلان إلى الله وإلى الجنة في الحياة الآخرة، ثم تأتي بعد ذلك الأحاديث ذات الطابع العام حول الإسلام أو القرآن أو النبى وصفاته أو حول الأحداث التاريخية. ويقدم الخطاب في هذه الموضوعات ذات الطابع الديني البحت تفصيلات تدل في النهاية على أن جهد المؤمن يجب أن يتجه نحو الارتقاء على هذا المدرج الذي يمتد من الأرض إلى السماء، من العبادات والالتزام بالأوامر والنواهي إلى التقرب إلى الله والوصول بسلام إلى يوم الآخرة. وتتفرع هذه الموضوعات العامة إلى موضوعات فرعية. فالعلاقة مع الله تتفرع إلى موضوعات هي: الإيمان، التوحيد، الإخلاص، المحبة، الطاعة، الخوف، التوبة، التقوى، الذكر الدائم، مراقبة الله، اللجوء الدائم لله. أما الحديث عن الدار الآخرة فيتفرع إلى: الاستعداد للآخرة، فترة الاحتضار، القبر وعذابه، علامات الساعة، القيامة (البعث والحشر). وبالنسبة للحديث عن الفروض والعبادات فتشتمل على: الصلاة وشروطها وأركانها وأنواعها، الصيام، الجهاد في سبيل الله، الحج وأركانه، الزكاة وأحكامها، أركان الإسلام. أما عن الموضوعات الفرعية للأحكام والفتاوى والتحذيرات، فهي: الأحكام والحدود، النواهي، الأوامر،

التحذيرات، العواقب والعقوبات. بينما تتفرع الموضوعات المتعلقة بالإسلام إلى: الإسلام دين الوسطية، الإسلام منهج وسلوك، الإسلام دين الأخوة، الإسلام ونصرة المرأة، مزايا الإسلام.

#### ٤-٢ التوجه الديني للخطاب

ينتهي الخطاب الديني لأئمة المساجد عن التعلق بالدنيا والاهتمام بها، وثمة إجماع تقريبا على هذه القضية، فالحياة الدنيا لهو ولعب،<sup>١١</sup> ولا يجب أن تغرنا هذه الحياة بأي شكل من الأشكال.<sup>١٢</sup> فمن الأشياء المكروهة حب الدنيا والتعلق بها وكرهية الموت. وينسى الإنسان في هذه الحالة أنه "مروح مروح بالعافية أو بالخاطر.. فاعمل للدنيا بقدر مقامك واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها... وبعدين تروح على بيت الظلمة والوحدة وأنت ونصيبك وعلى حسب عملك إما يكون نورا أو ظلاما، يوم لا ينفع مال ولا بنون".<sup>١٣</sup> فالأصل في العبودية هو طاعة الله وذكره على نحو دائم، ومن ثم فإن الغفلة ليست غفلة عن مراعاة أمور الحياة أو النظر فيها، وإنما هي غفلة عن ذكر الله. فالغفلة "داء خطير إذا أصاب بني آدم وتمكن منه لن يقوم بطاعة الله وذكره وعبادته، بل نهتم أكثر بالأمور الملهية المبعدة عن ذكر الله تعالى"، فذكر الله وطاعته على نحو دائم يصونان المؤمن من الغفلة.<sup>١٤</sup> فالغافلون يرضون بالحياة الدنيا ويطمئنون بها، ومن ثم فإنهم يغفلون عن ذكر الله وعن آيات الله، أو الذين يعملون من أجل الدنيا ويغفلون عن الآخرة. فالذكر هو الحياة والغفلة عنه هي الموت، والقلب الذاكر هو القلب الحي، والقلب الغافل هو القلب الميت. وثمة موضوعان هنا يفتان الانتباه للوهلة الأولى:

**الأول: تعريف الغفلة.** فالإنسان لا يتهم بأنه غافل إذا ما أهمل عمله، أو إبداعه، أو أهمل حياته الدنيا. على العكس من ذلك فإنه يتهم بالغفلة إذا انصرف إلى الحياة الدنيا وانغمس فيها ونسى ذكر الله، فالغفلة هي في الأساس غفلة عن الذكر. صحيح أن في عدم الذكر غفلة، ولكنها غفلة يجب ألا تُنسى الإنسان حياته الدنيا، وأهمية دأبه فيها، وارتقائه بها.

**الثاني: تعريف الذكر نفسه.** فالذكر غالبا ما يرتبط بطقوس تتكرر، وقد تنتهي إلى التسبيح وسماع الإنشاد والمشاركة في الحضرات الصوفية. ولقد اتضح في التحليل الذي قدمناه لمفهوم الذكر كيف أنه يستحوذ على جُل وقت المؤمن. ونحن هنا لا نجادل ضد أهمية الذكر، ولكن نجادل في الأمور التي يستغرقها، فلماذا لا يكون التدبر في خلق الله ذكرا؟ ولماذا لا يكون الفعل الصالح ذكرا؟ ولماذا لا يكون الإنجاز الخيّر والإبداع الخيّر ذكرا؟

وأحسب أن غياب هذا الفهم هو الذي يحول الموضوعات المخصصة لأموال تتعلق بالحياة الدنيا قليلة إذا ما قورنت بالموضوعات الأخروية. وقد بلغ عدد الخطب التي صنّفت على أنها تتناول موضوعات دنيوية على نحو مباشر ١٠٨ خطب، بنسبة نحو ٢٣% من إجمالي الخطب. وغطت هذه الخطب موضوعات متنوعة يعرضها

١٠- إشارة إلى الآية: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ» (محمد، ٣٦).  
١١- إشارة إلى الآية: «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» (الأعراف، ٥١).  
١٢- إشارة إلى الآية: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الشعراء، ٨٨-٨٩).  
١٣- إشارة إلى الآية: «وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» (الأعراف، ٢٠٥).

الجدول رقم (٣) كما يلي:

جدول رقم (٣): موضوعات الخطب التي تعالج موضوعات دنيوية على نحو مباشر

الموضوع	التكرار	%
موضوعات سياسة واجتماعية عامة	١٢	١١,١
الحقوق	٢٥	٢٣,١
العلاقة بالنفس وبالآخرين	٨	٧,٤
القيم والمثل العليا	٥١	٤٧,٣
نقد سلوكيات	٧	٦,٤
قضايا علمية عامة	٢	١,٩
المستقبل	٣	٢,٨
الإجمالي	١٠٨	١٠٠

وثمة ملاحظة أولية على هذا التوزيع مفادها أن أكبر نسبتي تتركزان في موضوعي القيم والمثل العليا (٤٧,٣%) والحقوق (٢٣,١%) وهما موضوعان أقرب إلى الموضوعات الدينية، ولقد تم تصنيفهما في البداية على أنهما من الموضوعات الدينية، ثم أعيد تصنيفهما إلى الموضوعات الدنيوية (لأسباب سوف تتضح أثناء التحليل). وإذا حذفنا هذين الموضوعين فسوف نجد أن عدد الموضوعات المتعلقة بالأمور الدنيوية ضئيل (نحو ٢٩,٦% من الموضوعات). وتتفرع هذه الموضوعات العامة إلى موضوعات فرعية. فالموضوعات السياسية والاجتماعية تدور حول: أزمة العالم المالية، البوسنة، الأزمة السكانية، مصر الأمن والأمان، المرأة وأثرها في استقامة المجتمع، قيادة الأمة الإسلامية، الزواج العرفي والزواج الشرعي، ذكرى تحرير سيناء، وهكذا.

##### ٥- قيم التنمية في الخطاب الديني: تحليل معياري

السؤال المحوري الذي يتجه هذا الجزء إلى الإجابة عنه هو: هل يبث الخطاب الديني رسائل تحث الأفراد والجماعات على تحقيق نهوض اجتماعي واقتصادي؟ بمعنى آخر هل ثمة قصديّة في الخطاب نحو توجيه المستمعين إلى بناء أنفسهم كأفراد وبناء مجتمعهم كوطن؟ إن بحث هذا السؤال أو ذاك يصب في بحث منظومة القيم التي يؤكد بها الخطاب فيما يتعلق بالنهضة أو التنمية. فهل يدفع الخطاب الناس - مثلاً - إلى العمل والإنجاز واحترام الوقت والآخرين؟ أم أنه يتجاهل مثل هذه القيم؟ وإذا ما اهتم بها، ففي أية حدود؟ وبأية طريقة؟ وهل ثمة قصدية تواصلية في الاهتمام بمثل هذه القيم وغيرها من قيم التنمية؟ أم أن الاهتمام يأتي بشكل عرضي دون قصد واضح؟

ولقد سبق أن حددنا في منهجية الدراسة الطريقة التي نتوخاها لتكوين مصفوفة القيم. ويتعين الآن تحليل هذه القيم في ضوء نصوص الخطاب بطريقة التحليل المعياري، من حيث إحصاء تكرار هذه القيم في نصوص الخطب البالغ عددها ٤٧٠ خطبة، وما إذا كانت الإشارة إلى القيمة قد تمت على نحو مباشر أم غير مباشر، مع الأخذ في

الاعتبار التفرقة بين الخُطب التي تركز على الأمور الدينية والأخرى التي تركز على الأمور الدنيوية. ويعرض جدول رقم (٤) بيانات التحليل العام لمصفوفة القيم كما جاءت في الخطب المنبرية التي تناولها هذا التحليل وذلك قبل الدخول في التحليل تفصيلاً.

جدول رقم (٤): بيانات التحليل العام لمصفوفة القيم

البيان	العدد	%
أعداد ونسبة قيم العمل	٣٨	١٣,٢
أعداد ونسبة القيم السياسية	٥٩	٢٠,٤
أعداد ونسبة القيم الاجتماعية	٩٨	٣٤,١
أعداد ونسبة القيم الشخصية	٩٣	٣٢,٣
العدد الكلي لتكرارات القيم	٢٨٨	١٠٠

وكان عدد الإشارات المباشرة ٥٤ إشارة، بنسبة ١٨,٧% إلى مجموع الإشارات، وعدد الإشارات غير المباشرة ٢٣٤ إشارة، بنسبة ٨١,٣% إلى مجموع الإشارات، أما عن عدد القيم التي لم يتم الإشارة إليها فبلغت ١٥ قيمة، بنسبة حوالي ٢٨% إلى عدد القيم.

ويكشف الجدول عن عدد من الحقائق:

- ١- أن أكثر القيم تكراراً في الخطاب هي القيم الاجتماعية بنسبة ٣٤,١%، وأقلها تكراراً هي قيم العمل بنسبة ١٣,٢%.
- ٢- أن عدد الإشارات إلى القيم قليل بالنسبة لعدد الخطب التي تم تحليلها، حيث بلغ ٢٨٨ إشارة في ٤٧٠ خطبة، بنسبة نحو ٦١,٣%.
- ٣- أن الإشارات المباشرة إلى هذه القيم قليلة جداً فلم تصل إلا إلى ٥٤ إشارة بنسبة ١٨,٧% من مجموع الإشارات.
- ٤- أن جُلَّ الإشارات إلى القيم تم بشكل غير مباشر حيث بلغت الإشارات غير المباشرة ٢٣٤ إشارة بنسبة ٨١,٣% من مجموع الإشارات.
- ٥- أن هناك قيماً لم يتم التعامل معها مطلقاً، بلغ عددها ١٥ قيمة بنسبة ٢٧,٧% من مجموع القيم.

ويعرض جدول رقم (٥) للمصفوفات الفرعية للقيم للتعرف على مدى تكرارها في الخطاب من ناحية ومضمون الخطاب المتصل بكل قيمة على حدة.

## ١-٥ قيم العمل

جدول رقم (٥): تكرار ونسب القيم المتصلة بالعمل في نصوص الخطب

المجموع	الخطب الدنيوية		الخطب الدينية		مصفوفة قيم العمل	
	عدد	غير مباشر	مباشر	غير مباشر		مباشر
١٥,٨	٦	١	-	٥	-	احترام العمل
٧,٩	٣	-	١	٢	-	الإنجاز
١٣,٢	٥	١	-	٤	-	إتقان العمل
١٣,٢	٥	١	-	٢	٢	الإخلاص في العمل
-	-	-	-	-	-	الاستقلال والتخصص
-	-	-	-	-	-	المثابرة في الأداء
-	-	-	-	-	-	التنافسية
-	-	-	-	-	-	استثمار الطاقة
-	-	-	-	-	-	الكفاءة في العمل
-	-	-	-	-	-	الانفتاح والتجدد
-	-	-	-	-	-	الجدارة والاستحقاق
٤٢,١	١٦	٢	-	١٣	١	العلم
٥,٢	٢	-	-	٢	-	النجاح وتحديد الأهداف
٢,٦	١	-	-	١	-	الإبداع
١٠٠	٣٨	٥	١	٢٩	٣	الإجمالي

يتضح من الجدول أن الإشارة إلى العمل تكررت ٣٨ مرة في الخطب، وأن معظم الإشارات (٨٩,٥%) تمّت على نحو غير مباشر، فلم توجد إلا أربع إشارات مباشرة لقيم العمل؛ حيث خصص جانب كبير من الخطبة للعمل. وجاءت معظم الإشارة غير المباشرة في الخطب ذات الطابع الديني، وهذا أمر طبيعي نظراً لأن عدد الخطب التي تكتسي بهذا الطابع كثيرة بالمقارنة بالخطب الدنيوية. ومن بين ١٤ قيمة فرعية ضمّتها هذا المحور لم تحظ إلا سبع قيم باهتمام الإمام، وهي: (١) قيم احترام العمل، (٢) والإخلاص فيه، (٣) وإتقان العمل، (٤) وقيمة الإنجاز، (٥) وقيمة العلم، (٦) وقيمة النجاح وتحديد الأهداف، (٧) وقيمة الإبداع. وكما ألمحنا فإن جُلَّ الحديث هنا جاء على نحو غير مباشر، ولم يزد عدد الإشارات التي تناولت الموضوع بشكل مباشر على أربع إشارات. ويشير كل ذلك إلى ضآلة الاهتمام بهذه القيمة في الخطاب الديني. ويلاحظ من ناحية أن الوزن النسبي لقيم العمل داخل مصفوفة القيم ليس كبيراً، ومن ناحية أخرى أن القيم يتم تناولها على نحو عارض وبطريقة غير مباشرة؛ الأمر الذي يدل على أنها تأتي على نحو ثانوي في الخطاب. ومن الطبيعي أن تتوارى قيم العمل في مقابل النمو المتزايد للنزعة الاستهلاكية والأساليب ومعطيات الحداثة البرانية، وانتشار التدين الشعبي الذي يُدخل الإنسان في دوائر أبعد ما تكون عن العمل.

## ٥-٢ القيم السياسية

ضمت هذه المجموعة عشر قيم هي: العدل والحرية والمساواة والشفافية والإصلاح والمسؤولية الاجتماعية والمشاركة والانتماء والمواطنة والحفاظ على الأموال العامة. ويكشف الجدول رقم (٦) عن تكرار هذه القيم في مجموعة الخطب التي تم تحليلها.

جدول رقم (٦): القيم السياسية في الخطاب الديني

المجموع	الخطب الدنيوية		الخطب الدينية		مصفوفة القيم السياسية	
	عدد	غير مباشر	مباشر	غير مباشر		مباشر
١٦,٩ %	١٠	-	-	٩	١	العدل
١,٧ %	١	-	-	١	-	الحرية
٥,١ %	٣	-	-	٣	-	المساواة
-	-	-	-	-	-	الشفافية والمحاسبية
٣,٤ %	٢	-	-	٢	-	الإصلاح
٥٧,٦ %	٣٤	٥	٧	٢١	١	المسؤولية الاجتماعية
٨,٥ %	٥	١	-	٤	-	المشاركة
٦,٨ %	٤	٣	-	١	-	الانتماء
-	-	-	-	-	-	المواطنة
-	-	-	-	-	-	الحفاظ على المال العام
١٠٠ %	٥٩	٩	٧	٤١	٢	الإجمالي

يوضح الجدول أن هذا النوع من القيم قد تمت الإشارة إليه ٥٩ مرة، وجاءت معظم الإشارات على نحو غير مباشر، حيث لم تتم الإشارة إليها بشكل صريح إلا تسع مرات (٧ في الخطب ذات الطابع الدنيوي، و٢ في الخطب ذات الطابع الديني). وكانت قيمة المسؤولية الاجتماعية هي أكثر القيم التي تم الإشارة إليها (٣٤ مرة بنسبة ٥٧,٦ % من مجموع التكرارات)، ثم قيمة العدل (١٠ مرات بنسبة ١٦,٩ %)، ثم قيمة المشاركة (٥ مرات بنسبة ٨,٥ %)، والانتماء (٤ مرات بنسبة ٦,٨ %)، والمساواة (ثلاث مرات بنسبة ٥,١ %)، وقيمة الإصلاح (مرتين بنسبة ٣,٤ %)، وقيمة الحرية التي لم ترد سوى مرة واحدة فقط. وثمة قيمتان لم يتم الإشارة إليهما كلياً وهما قيمة الشفافية وقيمة المواطنة. وما ينطبق على قيم العمل ينطبق أيضاً على القيم السياسية، ولكن الواضح هنا الإهمال التام لقيمتين من قيم التنمية، هما المواطنة والحفاظ على المال العام. فرغم وجود مشكلات كثيرة تتصل بالمواطنة، وأخرى تتصل بانتشار الفساد ونهب المال العام، إلا أن ذلك لا يجد له صدى داخل الخطاب. ويؤشر ذلك على هروب الخطاب من القضايا البنائية الكبرى، وتناوله للقضايا الجانبية والثانوية، الأمر الذي يخفي تواطؤاً أو مؤامرة بين النظم الحاكمة الفاسدة وبين الخطاب الذي يُبث إلى الناس سواء كان سياسياً أم دينياً.

### ٣-٥ القيم الاجتماعية

تضم هذه الفئة أربع عشرة قيمة تكررت في الخطب المنبرية بنسب متفاوتة يعكسها الجدول رقم (٧) كالتالي:

جدول رقم (٧): تكرار ونسب القيم الاجتماعية في الخطب

القيم الاجتماعية	الخطب الدينية		الخطب الدنيوية		المجموع	
	مباشر	غير مباشر	مباشر	غير مباشر	عدد	%
الاحترام وحسن التعامل	١	٢٧	٢	٣	٣٣	٣٣,٧
التكامل والتعاون	-	١٣	-	١	١٤	١٤,٣
التقدير	-	-	-	-	-	-
التسامح	-	٤	-	١	٥	٥,١
الوفاء بالعهد	٣	٢	-	-	٥	٥,١
الصدقة	-	٦	١	١	٨	٨,٢
الإيثار	-	٦	-	-	٦	٦,١
القوة	-	-	-	-	-	-
تفضيل المصلحة العامة	-	-	-	-	-	-
السلام	-	٤	-	-	٤	٤,١
الأمن	-	٣	١	٢	٦	٦,١
الحب والإخاء	٣	٨	١	١	١٣	١٣,٣
التراحم	٢	٢	-	-	٤	٤,١
الإجمالي	٩	٧٥	٥	٩	٩٨	١٠٠

يوضح الجدول بدهاء أن القيم الاجتماعية تحظى باهتمام الإمام أكثر من القيم الاقتصادية (قيم العمل) والقيم السياسية. فقد أشير إلى هذه القيم ٩٨ مرة بنسبة ٣٤,١% من مجموع الإشارات، وجاءت قيمة الاحترام وحسن التعامل مع الآخرين على رأس القائمة بتكرار وصل إلى ٣٣ مرة من مجموع التكرارات في القيم الاجتماعية بنسبة ٣٣,٧%. يلي ذلك قيم التعاون والتكامل والتي تكررت ١٤ مرة بنسبة ١٤,٣%، ثم قيمة الحب والإخاء تكررت ١٣ مرة بنسبة ١٣,٣%، ثم الأمن التي تكررت ٦ مرات بنسبة ٦,١%، فالصدقة ٨ مرات بنسبة ٨,٢%، والتسامح والوفاء بالعهد جاءت ٥ مرات بنسبة ٥,١% لكل واحدة منها، ثم السلام والتراحم بنسب متساوية: ٤ مرات بنسبة ٤,١%. ويلاحظ أن الوزن النسبي لهذه النوعية من القيم يزيد على نحو ملحوظ عن القيم الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى قرب المفاهيم القيمية المطروحة هنا من المفاهيم الدينية. ومع ذلك يلاحظ غياب قيم مهمة عن التناول خاصة موضوع القوة وموضوع المصلحة العامة. ويؤشر ذلك على أن الخطاب هو خطاب ضيق الأفق لا ينظر فيما هو عام، ولا يطور أفكارا تساعد الناس على تحديد أهدافهم العامة أو ما يطلق عليه الصالح العام.

## ٤-٥ القيم الشخصية

يعرض الجدول رقم (٨) لتكرار القيم التي أطلقنا عليها القيم الشخصية؛ وهي مجموعة من القيم التي تؤثر على صفات شخصية في الفرد تجعله أكثر إيجابية، وتعبّر هذه المجموعة من القيم عن صورة الفرد المرغوب فيه، أو صورة الفرد المثالي.

جدول رقم (٨): تكرار القيم الشخصية في عينة الخطب

القيم الشخصية	الخطب الدينية		الخطب الدنيوية		المجموع	
	مباشر	غير مباشر	مباشر	غير مباشر	عدد	%
حسن الخلق (الدين والخلق)	٧	١٨	٢	١	٢٨	٣٠,١
الأمانة	١	٤	-	-	٥	٥,٤
الشجاعة	-	-	-	-	-	-
الاعتماد على الذات	-	-	-	-	-	-
الإرادة	-	١	-	-	١	١,١
النظافة	١	٣	-	١	٥	٥,٤
احترام الوقت	-	٤	٢	١	٧	٧,٥
احترام القانون	-	-	١	-	١	١,١
السعادة	١	٥	-	-	٦	٦,٤
الاقتصاد في الإنفاق	٥	-	-	١	٦	٦,٤
الإيجابية	-	٣	-	-	٣	٣,٢
التفاؤل والأمل	-	١	٢	٥	٨	٨,٦
الصدق	-	٦	-	-	٦	٦,٤
التواضع	-	٤	-	-	٤	٤,٣
محاسبة النفس	٥	٥	-	-	١٠	١٠,٨
القناعة	-	١	-	-	١	١,١
الاعتدال	-	١	-	١	٢	٢,٢
الإجمالي	٢٠	٥٦	٧	١٠	٩٣	١٠٠

يكشف الجدول عن أن هذه المجموعة من القيم تتماثل مع نظيرتها في تناولها للقيم الشخصية على نحو غير مباشر في أغلب الأحيان (٦٦ إشارة بنسبة ٧١% في مقابل ٢٧ إشارة بنسبة ٢٩%)، وأن جلها تمّت الإشارة إليها في إطار توجيهات متصلة بالدين والعقيدة (٧٦ إشارة بنسبة ٨١,٧% جاءت في إطار خطب دينية بحثة في مقابل ١٧ إشارة بنسبة ١٨,٣% في إطار خطب دنيوية). ولقد بلغ عدد الإشارات إلى القيم الشخصية ٩٣ إشارة في ٤٧٠ خطبة، توزعت على سبع عشرة قيمة؛ جاءت قيمة حسن الخلق في صدارتها (٢٨ إشارة بنسبة ٣٠,١%)،

ثم محاسبة النفس (١٠ خطب بنسبة ١٠,٨%)، ثم التفاؤل والأمل (ثمان إشارات بنسبة ٨,٦%)، ثم احترام الوقت (سبع إشارات بنسبة ٧,٥%)، ثم السعادة والاقتصاد في النفقات، والصدق بنسب متساوية (ست إشارات بنسبة ٦,٤%)، ثم النظافة والأمانة بنسب متساوية (خمس إشارات بنسبة ٥,٤%)، ثم التواضع (أربع إشارات بنسبة ٤,٣%). وجاء في ذيل القائمة قيم مثل الاعتدال والقناعة واحترام القانون والإرادة والإيجابية (بإشارات تتراوح ما بين ثلاث إشارات وإشارة واحدة). ولم يشر مطلقاً إلى كل من الشجاعة والاعتماد على الذات، مما يعكس تقادي ذكرهما في الخطاب الديني، وبث روح التواكل في المصلين.

## ٦- نحو سياسة لدمج الخطاب الديني: في قضايا النهضة والتنمية

### ٦-١ الوضع الراهن: عرض لأهم النتائج

ومن البحث يمكن تلخيص حالة الخطاب الديني الراهن في العناصر التالية:

#### ٦-١-١ أخروية الخطاب الديني

فالخطاب ينشغل بالحياة الآخرة أكثر من انشغاله بالحياة الدنيا، فقد دل التحليل على أن ٧٧% من موضوعات الخطاب تتجه نحو موضوعات تتصل بالآخرة أو العبادات، أي بموضوعات دينية ولا تتعلق بالحياة. وقد جاءت قضايا مثل قضية العبودية لله، والحياة الآخرة، والعبادات بأنواعها المختلفة في مقدمة الموضوعات التي ينشغل بها الخطاب. وعندما ينشغل الخطاب بموضوعات مثل القرآن والإسلام والنبوي أو حتى موضوعات تاريخية، فإن توجُّهه يكون توجُّهاً دينياً خالصاً لا يربط بين الخطاب وبين الحياة الدنيا. وكثرة الحديث عن الآخرة وعن الموت والتذكير بهما يؤدي إلى إبطاء القدرة على الفعل والمبادأة، ويزرع الخوف في النفوس، فلا تبدو مقامة، وقد يؤدي إلى أن تتحول النفوس إلى صور من الوسواس القهريّة. هنا تتحول وظيفة الدين من زرع الاطمئنان والسكينة في نفوس الأفراد إلى زرع الخوف وربما اليأس، وعدم النظر إلى الحياة الدنيا على أنها جديرة بأن تعاش أو تُبنى، وتُفقد هنا فكرة إعمار الأرض أو استعمارها. قد يكون قليل من الخوف مفيداً، إذا كان الأمر مرتبطاً بتحقيق الفضائل في الحياة الدنيا، ولكن لا يفعل هذا بقدر ما يُذكر السامعين بأنهم يقصرون في حقوق دينهم وربهم، وأن عليهم بذل الجهد في العبادة والذكر وتمني الموت بل وطلبه في كل لحظة. هنا يتضاعف الخوف لا خوف من الموت وعذاب القبر فقط، بل خوف من التقصير في العبادة ومن ثم من غضب الله ورسوله.

#### ٦-١-٢ الموضوعات الدنيوية في الخطاب الديني

إن العدد القليل من الخطب التي تتجه نحو موضوعات دنيوية (بنسبة ٢٣%) يتجه الخطاب فيها إلى ترسيخ الإيمان في النفوس أكثر من توجيه الناس إلى أهداف محددة إلا في النذر اليسير. وثمة إضاءات في الخطاب المتصل ببناء الحياة الدنيا تأخذ المتلقي إلى سلوكيات إيجابية كأن يتحدث الإمام عن المسؤولية في العمل، أو مسؤولية رجال الأعمال تجاه تشغيل الشباب، أو المسؤولية تجاه الشارع والحي والوطن، ولكن جُلَّ الخطاب حول الحياة الدنيا لا يسير في هذا بقدر ما يحاول المقارنة بين أحوال المسلمين الراهنه وبين ما يعتبره سلوكاً مثالياً. فالحديث عن

الأمر الديني ينصب على موضوعين هما: القيم والمثل العليا (٤٧,٣) % من مجموع الخطب ذات التوجه الديني (٢٣,٢) % من هذه الخطب، حيث يتجه مضمون الخطاب هنا إلى تحويل الحديث إلى حديث ديني صرف بهدف ترسيخ الإيمان في النفوس: كأن يتحدث الإمام - عند تناوله موضوع الوفاء بالعهد - عن موضوع وفاء العهد مع الله... وهكذا.

#### ٦-١-٣ قيم التنمية في الخطاب الديني

ثمة تناول لبعض قيم التنمية في الخطاب الديني، ولكنه تناول ضعيف، فقد كشفت عملية استخلاص قيم التنمية من الخطاب الديني عن وجود تناول لـ ٣٩ قيمة (بنسبة ٧٢%) من مصفوفة قيم التنمية المعيارية البالغ عددها ٥٤ قيمة. وإذا أخذنا هذه النسبة في حد ذاتها وبعيدا عن سياقها فإنها تؤشر على وجهة إيجابية، ولكن إذا كشفنا الستار خلف هذه الأرقام نجد أن تناول القيم التنموية في الخطاب يُعدّ تناولا ضعيفا:

- أ- فجّل هذه القيم يتم تناولها على نحو غير مباشر كما تشير الأرقام، فلم يصل عدد الإشارات المباشرة إلى قيم التنمية إلا ٥٤ إشارة من بين ٢٨٨ إشارة.
- ب- كما أن الإشارات إلى كل قيمة على حدة غير متكررة؛ فمن بين ٤٧٠ خطبة لم تزد عدد الإشارات لقيمة المسؤولية الاجتماعية (أعلى قيمة في عدد التكرار) على ٣٤ إشارة.
- ج- والأمر الأشد أهمية أن كثيرا من هذه الإشارات يأتي بشكل عابر وفي سطور قليلة وكأنه يأتي على سبيل الاستدراك.

#### ٦-١-٤ الحديث عن المستقبل

يخلو الخطاب تقريبا من الحديث عن المستقبل. حقيقة أننا نصادف هنا وهناك حديثا عن الغفلة، وقد نفهم الغفلة على أنها غفلة عن تدارك أسباب التقدم، وعن تدارك النظرة الثاقبة إلى المستقبل، بيد أن الحديث عن الغفلة تفهم بالمعنى الديني البحت؛ الغفلة عن ذكر الله، أو عن العبادات، أو الغفلة عن عبودية الله، أو عن قراءة القرآن، بل يؤكد الخطاب أن التعلق بالحياة الدنيا يعتبر سببا من أسباب الغفلة.

#### ٦-١-٥ الوعي بتخلف الواقع في الخطاب الديني

ويميط الخطاب اللثام عن وعي بتخلف الواقع وسقوطه إلى الدرك الحضاري الأسفل، ولكنه يتجه في تناوله لهذا الواقع وجهات كثيرة:

- أ- نقد هذا الواقع وإلقاء اللائمة على المسلمين.
- ب- تفسير أسباب هذا التخلف بالبعد عن الدين وعن الإيمان الصحيح.
- ج- المقارنة بين هذا الواقع وبين الماضي الذي انتصر فيه الإسلام انتصارا عظيما وبني حضارة عظيمة.
- د- ومن هنا تكون النهضة بالعودة إلى الإسلام الصحيح.

## ٦-١-٦ الانعكاسية الماضوية في الخطاب الديني

ثمة إسلام غائب، وثمة فرائض غائبة، وثمة قطيعة بين النص والواقع، ولكن هذه القطيعة تحل عبر الخطاب لا بدمج النص في الواقع، وإنما بالانعكاسية الماضوية، أي بالحديث عن الماضي على أنه نموذج مثالي يجب أن يُحتذى، ويجب - ضمناً - أن يُستعاد. إن النقد الذي ينصبّ على الواقع لا يوازيه نقد للماضي، فالماضي كان ذهبياً ناصعاً، والحاضر حديداً أسوداً صديداً يحتاج إلى تجلية، ولا طريق إلى ذلك إلا بالقياس على هذا الماضي واحتذائه. يرتمي الخطاب بذلك في أحضان الماضوية، فيترك الحاضر صليداً مبطوطاً وأسناً. يظل الخطاب هنا منفصلاً عن الواقع الذي يتخيل أنه يغيره، يظل الخطاب يخاليل النهضة في الماضي من ناحية، ويبحث عن خلاص في الآخرة بمزيد من العبادة والتعلق بالموت وما وراءه، فتتعمق القطيعة بين النصوص والواقع، ويظل كل منهما ينمو ويتكاثر بمعزل عن الآخر.

## ٧-١-٦ تعامل النص مع الواقع

لا يتعامل النص الخطابي مع الواقع على أنه نص مفتوح على الواقع يأخذ منه ويعطي، بل هو نص مغلق مكتفياً بذاته، يريد لهذا الواقع أن يتجه خلفه ويسير على هواه. فهذا الواقع هو - في الأول والآخر - واقع متهم، مدّس، لا يرقى إلى مفهوم الإيمان الصحيح قط؛ وهو واقع مليء بالبدع، ومقصر في حق دعوة الجهاد، ولا يستلهم دروس الماضي على نحو جيد ومفيد. وهو واقع مليء بالهزل وعدم الجد "فسواعد هذه الأمة في هزل وفي لعب.. وشبابنا لا يعرفون عن الجد شيئاً.. فهم لا يسيرون في طريق الجد ولا يعرفون هدفاً". إن الخطاب هنا لا يصف الواقع فحسب، بل إنه يمجّد هذا الواقع، ويضفي عليه قدراً من السكون، بحيث يكون الأمل في تحريكه صعب المنال. ويتصور الإمام أن هذا الواقع لا يفك أصفاده، ولا يتحرك إلى الأمام إلا أن يتعلم من السلف والسير على دربهم والتعلم منهم في كل شيء؛ في العلم الشرعي والدراسة والعمل.

## ٨-١-٦ عدائية مضمرة للنهضة الحديثة

يكشف الخطاب عن عدائية مضمرة للنهضة الحديثة، فهو يكثر الحديث عن الجهاد. هنا يساهم الخطاب الديني بالحديث المتواصل عن الجهاد في تعضيد الدعوة السلفية المضادة للكثير من النظم السياسية القائمة في البلدان الإسلامية. كما تتكشف العدائية المضمرة في الخطاب أيضاً في العداء المستحکم ضد بعض رموز النهضة في العالم الإسلامي، مثل العداء لكمال أتاتورك، واتهامه بأبشع الاتهامات، وتشبيهه بأبي جهل، وهو رائد من رواد النهضة الحديثة العظام في دولة إسلامية كبيرة. كما تتضح هذه المعاداة للنهضة في حديث الإمام عن المرأة خاصة ضرورة الطاعة العمياء للزوج، وعدم قدرتها على التنقل إلا بإذنه، وهو ما يتعارض مع خطاب الدولة حول مشاركة المرأة، ومنحها حقوقها في العمل والاختيار والمشاركة السياسية والاجتماعية.

## ٢-٦ الأسس العامة لتطوير الخطاب الديني

### ١-٢-٦ تحديد وظيفة الدين ونطاق تأثيره في الحياة

من الأهمية بمكان أن يتم هذا التحديد على المستوى المفهومي، ويتشكل عبر الخطاب السياسي العام. والمقصود

من هذا أن يقوم تطوير الخطاب الديني وتجديده على إطار من الفهم العام لدور الدين في المجتمع. ويتحدد هذا الإطار من خلال الإجابة عن سؤالين بشكل واضح وصريح لا لبس فيه:

**السؤال الأول:** إلى أي مدى نحن مجتمع مدني؟ نحن مجتمع مدني بحكم الدستور وطبيعة النظام السياسي؛ ولكن الطريقة التي يُداول بها الدين في الحياة العامة وفي الحياة اليومية تدل على أن المجتمع ليس مدنيا بالشكل الكامل. ومن الأمثلة على ذلك تداول الدين في الخطاب الرسمي للدولة، وتداخل الممارسات السياسية مع الممارسات الدينية، وتعاضم الخلاف حول الموضوعات الدينية في المجال السياسي، ووجود نزوع قوي نحو ممارسة السياسة على أسس دينية رغم حظر ذلك، وعدم الحسم في الأمور الخلافية (خاصة قضايا الحسبة)، والظهور الواضح - بل السيطرة الواضحة - للخطاب الديني في المجال الإعلامي. إن الدولة المدنية لا تتأسس إلا على خطابات نقيّة لا تداخل فيها، يوجد بينها استقلال نسبي. فلا يكون الخطاب السياسي والاجتماعي متقلا بالرموز الدينية، ولا يكون الخطاب الديني متوجها نحو السياسة، شريطة أن يكتسب كل منهما احترام الآخر، فضلا عن الاحترام العام في المجتمع.

**السؤال الثاني:** هل الدين يتعلق بالمجال العام أم المجال الخاص؟ ومرة أخرى فإن الدستور يؤكد على مبدأ المواطنة، وينفي صور الانتماء الأخرى ومنها الانتماء الديني. يعني ذلك أن الدين أمر يتعلق بالمجال الخاص، أي أنه يتعلق بالعلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكن الممارسات السياسية الحياتية تدل على أن الدين ليس كذلك. فثمة حضور قوى للدين في الميدان العام يكاد يصل إلى حد المراقبة والتتبع. ويصل هذا الحضور إلى درجة أن المتحدث في ندوة عامة أو في قناة تليفزيونية يكون حذرا - بل خائفا - من أن يتبعه رقيب، أو أن يهاجمه متطرف. إن الدول المدنية تتأسس على عقلانية ورشد الخطاب، وعقلانية ورشد الممارسة، والاستقلال النسبي بين مجالات الحياة المختلفة. ونحن هنا لا نأمل في إختفاء الخطاب الديني من الميدان العام، ولكن نأمل أن يدخله رشيدا عقلانيا لا اختزاليا ولا استبعاديا.

#### ٦-٢-٢ بلورة دور الدين كطريق لتحقيق التنمية

ولا يتحقق ذلك إلا عبر طريق آخر يرتبط بتعريف دور الدين في الحياة. لا أحد يستطيع أن ينكر أن التدين هو تقرب إلى الله وعبادة له، وأن أساسه هو تأدية الفروض والعبادات ومراعاة القواعد الصحيحة في التعاملات. ولا أحد ينكر أن الدين هو مصدر القيم الأصيلة وهو مصدر المثل العليا. والدين أيضا هو طاقة حياتية، وطاقة للبناء والإعمار، وطاقة للتقدم والحضارة. ولقد كشفت الدراسة الراهنة عن أن الخطاب يركز على الجوانب الأولى من المعادلة، ويترك الجوانب الأخرى، ومن هنا فنحن بحاجة إلى جهد لبلورة رؤية حول دور الدين كطاقة للبناء وكطريق لتحقيق التنمية. أكاد أصل في هذه النقطة إلى القول بأننا بحاجة إلى تعريف جديد لما نعنيه بالإيمان. وعلى سبيل المثال لا الحصر: هل أستاذ الجامعة الذي يكثر من الحج والعمرة والصلاة والصوم ولا ينمي قدراته في عمله الذي تخصص فيه، هل هو مؤمن بحق؟ وهل الشخص الذي يضيّع الوقت فيما يحيط بالصلاة من استعداد ودعاء تاركا عمله، وصارفا نظره عن الجمهور الغفير الذي ينتظره لقضاء حاجاته، هل هو مؤمن حقا؟ هل المدرس الذي يعاقب تلميذته الصغيرة لأنها لا ترتدى خمارا، ويهمل في تعليمها وتعليم أقرانها إلا في درس

خصوصي، هل هو مؤمن بحق؟ وهل الشخص الذي يفضل منح فرصة عمل (سواء مرموقة أم غير مرموقة) لابنه رغم تدنيّ مستواه ويُحرم منها شخصا آخر هل هو مؤمن بحق؟ إن التناقض الكبير الذي نعيشه هو أن كل الناس يعرفون معنى الإيمان بأنه "ما وقر في القلب وصدّقه العمل"، ولكن هذا النص لا مكان له في واقع الكثير من الناس وممارستهم، وكأن ترديده وإعلاء الصوت والتشدد به واتخاذ شعارا وحسب هو الإيمان. إننا بحاجة إلى تعريف إجرائي للإيمان يحدد بشكل مفصل: ما السلوك الذي يتطابق فيه ما وقر في القلب وصدّقه العمل؟ إن هذه التعريفات الإجرائية، والتحديات السلوكية هي التي تجعل النصوص الخطابية المفارقة للواقع تعود وتتغرس فيه، تتغرس فيه لتغييره إلى الأفضل، لا لتجعله يرتد منعكسا على الماضي.

### ٦-٢-٣ خلق إجماع بين المؤسسات

ومن الأمور الهامة في قضية تطوير الخطاب محاولة خلق إجماع بين مؤسساته. فالخطاب في معظمه يشي بقدر كبير من التعددية والفوضى، ومن ثم فإنه بحاجة إلى خطوط عامة يلتزم بها. هذه الخطوط العامة يجب أن تستدمج في خطط وبرامج الدولة ذاتها. إن الواقع الآن يشي بأن الخطاب منفصل عن أهداف الدولة وقضاياها العامة، بل إنه قد يعمل ضد هذه القضايا وتلك الأهداف. وينطبق هذا على الخطاب الإسلامي والخطاب المسيحي على حد سواء. فثمة خطابات دينية إسلامية، وأخرى مسيحية متعددة، وتداول هذه الخطابات على نحو واسع - مثل تداولها عبر القنوات الفضائية والإنترنت - يعمل على توسيع حدة الخلاف في النظرة إلى العالم. فهذا يسمع خطيبا هنا وذاك يسمع خطيبا هناك، وكلاهما يقدم رؤية مخالفة ربما لنفس الموضوع. يترك المتلقي هنا دون هدف واضح، ودون معرفة واضحة، ودون إتفاق على شيء. قد يختلف الأمر لو حدث توحيد في التوجهات العامة للخطاب.

### ٦-٢-٤ مسؤولية المؤسسات الأخرى

لاشك أن تغيير الواقع الحالي لا يرتبط بتطوير الخطاب الديني وحده، ولكنه يرتبط بتطوير سياسات أخرى في مجالات متعددة تقع عليها مسؤولية المشاركة في التطوير:

أ- **المجال التعليمي:** تطوير المناهج، وأهم منها تطوير رؤية العالم World View لدى المدرسين. ونقترح هنا أن يتضمن امتحان كادر المعلمين امتحانا يكشف عن ميولهم التعصبية وميولهم التطرفية، وعن ميولهم نحو الرشد والعقلانية، بحيث يستبعد المدرسون المتعصبون والمتطرفون من مهنة التدريس.

ب- **المجال الإعلامي:** الحد من تأثير القنوات المتطرفة والمتشددة حتى وإن ترتب على ذلك خسارة مادية، وتدعيم قناة أزهريّة بدعاة أكثر استنارة.

ج- **المجال الثقافي العام:** الاهتمام بالفنون والآداب ونشرها على نطاق واسع؛ خاصة الفنون الراقية كالمسرح والموسيقى والتصوير والباليه. إن الاهتمام بالفن والأدب ونشرهما هو أساس القضاء على الميول التعصبية. ومن ثم فإن نشر الفنون في المدارس، وفي القطاع الثقافي الجماهيري يُعدُّ أحد المستلزمات الأساسية في محاربة التطرف.

## ٦-٣ سياسات تجديد الخطاب الديني

تحتاج سياسات تجديد الخطاب الديني إلى رؤية متكاملة تستهدف التجديد على مستويات أربعة:

- مستوى محتوى الخطاب الديني والرسائل المتضمنة فيه.
- مستوى الدعاة (خطباء المساجد).
- مستوى المتلقين للخطاب الديني (الجمهور العام).
- مستوى المؤسسات الرسمية ذات العلاقة بالخطاب الديني.

### ٦-٣-١ تطوير المحتوى (الرسائل الدفينة في الخطاب)

يهدف هذا التطوير إلى دمج قيم التنمية في بنية الخطاب الديني، بحيث يتجه الخطاب نحو دفع عملية التنمية، ونحو تخليق طاقة للعمل والإنجاز، ونحو دفع العمل الجماعي وقيم المواطنة، والمشاركة السياسية، وبلورة قيم شخصية تعمل على تعضيد كل هذه المستويات من التنمية. ويمكن تحقيق هذا الهدف عبر آليات كثيرة منها:

أ- حث الأئمة على تقصير وقت الخطبة بما لا يخل بالمعاني المقصودة من الخطبة "وإن من البيان لسحرا"، وتحديد موضوعها بدقة، والإعداد المتقن له من حيث المضمون والشكل وروعة العرض وحسن الأداء، وعدم الخروج عن الموضوع ووحدة الموضوع وترابطه، وملاءمة موضوع الخطبة لجمهور المستمعين.

ب- وربما تفيدنا الدراسة الحالية في تصنيف موضوعات الخطاب الديني والتركيز على الموضوعات التي تفيد حركة المجتمع، وذلك على النحو التالي:

- التوسع في الموضوعات التي تتحدث عن القيم الإنسانية العامة كالعدل والعلم والحرية.
- الاهتمام بالموضوعات التي تعالج قضايا الإنتاج والادخار والاستثمار، وقضايا العمل وأهميته.
- الاهتمام بالموضوعات التي تدفع الناس إلى التضامن والتسامح والتعاون والعيش المشترك في إطار مفهوم مجرد عن الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان، دون نزعة طائفية.
- عدم التركيز على الموضوعات التي لا تخدم التوجهات التنموية، مثل الأحاديث عن الموت والآخرة، والسحر، والصبر، والدعاء، والذكر... إلخ.
- الاهتمام بتطوير المفاهيم الدينية إلى مفاهيم دنيوية، مثل المشاركة في الصلاة (التي يمكن أن تحول إلى مشاركة اجتماعية)، والغفلة (التي يمكن أن تجرنا إلى الحديث عن الغفلة عن الحياة الدنيا والإنجاز العلمي في العمل)، والشفاعة (التي يمكن أن تجرنا إلى محاربة الفساد).

ج- العمل على نشر الخطب المنبرية الجيدة التي تعالج قضايا حياتية مهمة، هذا بصرف النظر عن مكان الخطبة أو قائلها. (لوحظ أن الخطب المنشورة تُعدُّ مصدرا أساسيا لخطباء المساجد).

د- نشر كتيّب عن قيم التنمية والتقدم يوزع في المساجد والكنائس.

هـ- العمل على الحد من إعادة نشر الكتب القديمة للخطب التي يعتمد عليها الخطباء كمصادر للخطابة والاستعانة بكتب الخطب للعلماء الموثوق بهم.

و- تركيز وسائل الإعلام الرسمية في برامجها الدينية على نفس مضمون القيم المتصلة بالتنمية، بحيث تتحول مصفوفة القيم المتضمنة في هذه الدراسة (وقيم أخرى تضاف إليها) إلى أجندة حاكمة لكل صور الخطاب الديني، فالإعلام الإسلامي واجب لازم لا غنى عنه لترسيخ قيم التنمية في نفوس الناس.

### ٦-٣-٢ تكوين الدعاة

يهدف هذا التطوير إلى بناء نظرة إلى العالم لدى الدعاة تكون أكثر انفتاحاً، وأكثر قدرة على رؤية مختلفة لدور الدين في الحياة، أي دوره في تحقيق التقدم وبناء الحضارة. ويتحقق هذا الهدف عبر آليات منها:

- أ- توسيع قاعدة اختيار الدعاة، بحيث تضم تخصصات متعددة.
- ب- التأهيل الجيد للدعاة قبل العمل في مجال الدعوة.
- ج- إجراء اختبارات للدعاة بهدف التعرف على رؤية العالم والميول التعصبية لديهم، بالإضافة إلى رجاحة العقل واتساع الأفق، والانفتاح على الجديد والمرونة والقدرة على إدارة الانفعالات، وضبط العواطف، والرشد والعقلانية، قبل تعيينهم في المساجد.
- د- عقد دورات تدريبية على نحو مستمر للدعاة تستهدف بناء قدرات الدعاة في مجالات مختلفة وتقديم هذه الدورات التدريبية من قبل متخصصين في مجالات علمية متنوعة.
- هـ- رفع أجور الدعاة بما يتناسب وطبيعة المهمة الملقاة على عاتقهم.
- و- إلزام الدعاة بارتداء الزي الأزهرى.

### ٦-٣-٣ توحيد الرواية وتحييد المؤثرات الأخرى على المتلقين

يهدف هذا التطوير إلى توحيد الرؤية فيما يتصل بالخطاب الديني، وتحييد المؤثرات الأخرى التي تجعل المتلقين يبنون أفكاراً جامدة وتصورات متطرفة. ويتحقق هذا الهدف عبر آليات منها:

- أ- يبدو أن ثمة علاقة بين ثقافة البطالة (أساليب الحياة المتصلة باستخدام فائض الوقت الذي توفره البطالة) وبين الانشغال بالاستماع إلى الفتاوى والأحكام الدافعة إلى الميول التعصبية. فهل لنا أن نفكر في:
  - أ-١ إجراء دراسة عن ثقافة البطالة: ماذا يفعل المتعطلون عن العمل؟ للتحقق من الفرضية السابقة.
  - أ-٢ التفكير في مشروع قومي يشغل الشباب المتعطلين.

ب- تحييد تأثير المدرسين في المدارس (بحسب أنهم المصدر الأساسى لميول التعصبية وليست المناهج الدراسية) بوضع شرط للحصول على رخصة التدريس مفاده أن يكون المدرس حاملاً لرؤية منقحة ومنفتحة على العالم؛ وعدم التسامح مع المدرسين أو المديرين ذوي الميول التعصبية.

ج- تحييد تأثير وسائل الإعلام، خاصة الفضائيات ووضع حد للفوضى الإعلامية في مجال الدعوة الدينية، وضرورة تحويل وسائل الإعلام إلى أدوات بناء للمجتمع بدلاً من كونها أدوات هدم وتدمير وعدم توحيد للصف.

يهدف هذا التطوير إلى تفعيل دور وزارة الأوقاف، ودور الأزهر، ودور الكنيسة في تطوير الخطاب الديني. ويمكن تحقيق هذا الهدف عبر آليات منها:

- أ- تأكيد مبدأ شخصنة التدئين، أي أن يكون التدئين أمراً فردياً لا علاقة له بالميدان العام.
- ب- تأكيد مبدأ الدين لله والوطن للجميع.
- ج- الحد من التواجد الرسمي لرجال الدين في المناسبات العامة (رجل الدين مكانه المسجد أو الكنيسة وحضوره المناسبات العامة يعطي رمزا عكسياً، خاصة إذا جلس الشيخ والقسيس في نفس المناسبة).
- د- الحد من استخدام أدوات الاتصال الحديثة في المساجد أو منعه؛ لأن استخدامها يؤدي إلى إدراج العبادة داخل المنظومة الرأسمالية فتصبح مجرد سلعة وتفقد معناها الديني، إلى جانب أن العبادة تكمن في علاقة العبد بربه ويفضل فيها عدم الجهرية.

## المراجع ومصادر البيانات

### أولاً: المراجع العربية

- أحمد زايد . ٢٠٠٧. صور من الخطاب الديني المعاصر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أحمد عرفات القاضي. ٢٠٠٨. تجديد الخطاب الديني، الطبعة الأولى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أسماء محمد فريد الرجال. ٢٠٠٨. الخطاب الديني للدعاة الجدد. رسالة ماجستير تحت إشراف أحمد زايد، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
- السيد الحسيني. ١٩٨٥. التنمية والتخلف. القاهرة: دار المعارف.
- ديفيد ماكلياند. ١٩٨٠. مجتمع الإنجاز – الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية، ترجمة عبد الهادي الجوهري ومحمد سعيد فرج، مراجعة وتقديم عبد المنعم شوقي. القاهرة، جامعة القاهرة: مكتبة الشروق.
- محمد الزحيلي. ٢٠٠٦. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة. دمشق: دار الفكر.
- نادية مصطفى، وإبراهيم البيومي. ٢٠٠٦. حال تجديد الخطاب الديني في مصر. مركز البحوث والدراسات السياسية: الشروق الدولية.

يوسف القرضاوي. ١٩٩٩. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة وهبة.

\_\_\_\_\_ . ٢٠٠١. من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدين، الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق.

\_\_\_\_\_ . ٢٠٠٦. دراسة في مقاصد الشريعة، بين النصوص الكلية والنصوص الجزئية. القاهرة: دار الشروق.

- Abdin, Danial Zainal. 2007. *Islam, The Misunderstood Religion*, 2<sup>nd</sup> ed. Kuala Lumpur: PTS Millennia sdn. Bhd.
- Alexander, J. C. 1990. "Understanding the Relative Autonomy of Culture." In *Culture and Society: Contemporary Debates*, edited by J. C. Alexander. Cambridge: Cambridge University Press.
- Almond, G. and S. Vebra. 1963. *The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations*. Princeton: Princeton University Press.
- Bellah, R. N. 1970. *Beyond Belief: Essays on Religion in Post-Traditional World*. San Francisco: Harper and Row.
- Berger, P. 1990. *The Sacred Canopy: Element of a Sociological Theory of Religion*. New York, Anchor Books.
- . 1999. "The Desecularization of the World: A Global Overview". In *The Descularization of the World: Resurgent Religion and World Politics*. Wm. B. Eerdmans Publishing.
- Berger, P. L., B. Berger and H. Kellner. 1974. *The Homeless Mind: Consciousness and Modernization*. New York: Vantage Books.
- Deneulin, S. and M. Bano. 2009. *Religion in Development: Rewriting the Secular Script*. London: Zed Books.
- Durkheim, E. 2008. (First Published, 1912). *Elementary Forms of Religious Life*. Oxford: Oxford University Press.
- Gottschalk, P. and G. Greenberg. 2007. *Islamophobia: Making Muslims the Enemy*. Lanham: Rowman and Littlefield.
- Inglehart, R. 1997. *Modernization and Postmodernization*. Princeton: Princeton University Press.
- Habermas, J. 2002. *Religion and Rationality: Essay on Reason, God and Modernity*. MIT Press.
- Luhmann, N. 1984. *Religious Dogmatics and Evolution of Societies*. The Edwin Mellen Press LTD.
- Walton, C. L. 2002. "Is disenchantment the end of religion".  
<http://www.philocrites.com>
- Weber, M. 1922. *Sociology of World Religions*. Academy Library.  
<http://www.evans.experientialism.freewebspace.com>.
- . 1946. *From Max Weber: Essays in Sociology*, translated and edited by H. Gerth and C. W. Mills. New York: Oxford University Press.

———. 2002. *The Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism*. Translated by P. Baehr and G. C. Wells. Penguin Books.

## Working Paper Series Publications

<http://www.idsc.gov.eg/Publications/PublicationDetails.aspx?typeid=10&id=244hgl,ru>

### A) WORKING PAPERS (أ) أوراق العمل

- 1) Monetary Policy Analysis with New Keynesian Models for Egypt.
- 2) أثر أزمة الغذاء العالمية والأزمة العالمية على الفقر في مصر
- 3) Getting Better Value from Official Statistics by Increasing and Improving Their Use.
- 4) Modern Finance and the Transformation of Financial Systems: Key Considerations for Egypt in Light of the Global Crisis.
- 5) الشرع يحكم في البداية: دراسة لعملية أسلمة القضاء البدوي بين قبائل أولاد علي
- 6) Electricity Demand Analysis and Forecasting: A Panel Cointegration Approach.
- 7) Gibbs Sampling for SARMA Models.
- 8) سياسات الأجور والإصلاح الاقتصادي في مصر
- 9) An Economic Optimization-oriented Decision Support Model Based on Applying Single-Objective Evolutionary Algorithms to Computable General Equilibrium Models.
- 10) Impact of a Crisis-induced FDI Drop on Growth in Egypt.
- 11) New Tests of Symmetry in Regression Models.
- 12) Targeting Poverty in Egypt Using K-means Algorithm.
- 13) Determinants of Happiness and Life Satisfaction in Egypt: An Empirical Study Using the World Values Survey, Egypt 2008.
- 14) A Non-Parametric Approach for Population Bioequivalence.
- 15) A Design of Shareholder Value-based and Risk Adjusted Dividend Policy.
- 16) Effectiveness of Alternative Strategies for Improving Educational Outcomes.
- 17) Optimal Foreign Debt for Egypt: A Stochastic Control Approach.
- 18) تجارة القمح المحلي: الفائض التسويقي والتوريد الحكومي والأسعار (دراسة ميدانية)
- 19) Recents Methods for Visualzing Official Statistics.
- 20) Optimal Levels of Reserves and Hedging Sudent Stops of Capital Inflow to Egypt.
- 21) قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر

### (ب) آراء في السياسات العامة

١) نحو سياسة متكاملة للأجور في مصر.

٢) الاقتصاد المصري بعد ثورة ٢٥ يناير: وجهة نظر.

٣) نظامنا الانتخابي: وجهة نظر.